الضياء اللامع

في تذكير طلاب العلم ببعض الأمور المتعلقة بالعلم النافع

جمع وإعداد

أبي يعقوب وليد بن محمد بن نعمان الشراعي

تقديم فضيلة الشيخ

أبي بكر بن عبده بن عبد الله الحمادي

الضياء اللامع

في تذكير طلاب العلم
ببعض الأمور المتعلقة بالعلم النافع

الضياء اللامع

في تذكير طلاب العلم
ببعض الأمور المتعلقة بالعلم النافع

جمع وإعداد

أبي يعقوب وليد بن محمد بن نعمان الشراعي

تقديم فضيلة الشيخ

أبي بكر بن عبده بن عبد الله الحمادي

الضِّيَاءُ اللَّامِعُ

فِي تَذْكِيرِ طُلَّابِ العِلْمِ
بِبَعْضِ الأُمُورِ المُتَعَلِّقَةِ بِالعِلْمِ النَّافِعِ

جَمْعٌ وَإِعْدَادُ

أَبِي يَعْقُوبَ وَلِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نُعْمَانَ الشِّرَاعِيِّ

تَقْدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ

أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الحُمَّادِي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ أبي بكر بن عبده بن عبد الله الحمادي

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وصحبه أما بعد: فهذه رسالة نافعة مفيدة في الترغيب بالعلم، والتنبيه على كثير من المسائل الهامة التي يحتاج إلى معرفتها طالب العلم لأخينا الفاضل الباحث المفيد أبي يعقوب وليد بن محمد بن نعمان الشراعي وفقه الله وسدده، وقد جمع كاتبها كثيرًا من الأحكام والنصائح والفوائد، ونقل نقولات كثيرة عن أهل العلم فيها الفوائد النفيسة والتنبيهات المهمة، وفيها تنشيط الهمم الضعيفة وتقوية العزائم في طلب العلم والحرص عليه.

ومن قرأ فصْلًا من فصولها دعته نفسه إلى قراءة غيره من الفصول.

فجزى الله كاتبها خيرًا فقد أفاد وأجاد وأحسن في جمعها وترتيبها.

كتبه

أبو بكر بن عبده بن عبد الله الحمادي

في ليلة الخميس ١١/ شوال / ١٤٤٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن من نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على العبد أن يوفقه لطلب العلم؛ فإن العلم يعتبر أصل كل خير في الدنيا والآخرة، وهو الوسيلة إلى أداء ما أوجب الله وترك ما حرم الله؛ ولما كان الأمر كذلك أحببت أن أذكر نفسي وإخواني طلبة العلم ببعض الأمور المتعلقة بالعلم والتي ينبغي لطالب العلم أن ينتبه لها فكتبت هذا الكتاب سائلًا من الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع به طلاب العلم خُصُوصًا والمسلمين عمومًا.

كتبه

أبو يعقوب وليد بن محمد بن نعمان الشراعي

أهمية العلم

العلم له أهمية كبيرة في حياة المسلم؛ فهو مفتاح كل خير، وبه يتمكن العبد من عبادة ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبه ينفي العبد عن نفسه وعن أمته الجهل الذي هو سبب في خراب العالم، وأصل لكل فساد في الدنيا والآخرة.

ولقد امتن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عباده بنعمة العلم، **فقال** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أقوالا كثيرة يبينون فيه أهمية العلم ومن تلك الأقوال:

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٥٦):

فإن الإيمان فرض على كل واحد، وهو ماهية مركبة من علم وعمل؛ فلا يتصور وجود الإيمان إلا بالعلم والعمل، ثم شرائع الإسلام واجبة على كل مسلم، ولا يمكن أداؤها إلا بعد معرفتها، والعلم بها، والله تعالى أخرج عباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا، فطلب العلم فريضة على كل مسلم، وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه على العباد كلهم إلا بالعلم؟ وهل ينال العلم إلا بطلبه؟.

وقال أيضًا في إعلام الموقعين(٢/ ١٨٢):

فَمَا خَرَابُ الْعَالِمِ إلَّا بِالْجَهْلِ، وَلَا عِمَارَتُهُ إلَّا بِالْعِلْمِ، وَإِذَا ظَهَرَ الْعِلْمُ فِي بَلَدٍ أَوْ مَحَلَّةٍ قَلَّ الشَّرُّ فِي أَهْلِهَا، وَإِذَا خَفي الْعِلْمُ هُنَاكَ ظَهَرَ الشَّرُّ وَالْفَسَادُ. وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذَا فَهُوَ مِمَّنْ لَمْ يَجْعَلْ اللهُ لَهُ نُورًا . اهـ

وقال أبو العباس أحمد بن إدريس المعروف بالقرافي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفروق:

وَأَصْلُ كُلِّ فَسَادٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إنَّمَا هُوَ الْجَهْلُ، فَاجْتَهِدْ فِي إزَالَتِهِ عَنْك مَا اسْتَطَعْت، كَمَا أَنَّ أَصْلَ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ، فَاجْتَهِدْ فِي تَحْصِيلِهِ مَا اسْتَطَعْت، وَاَللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُعِينُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ. اهـ

وقال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تلبيس إبليس (ص: ٢٨٣):

[ذكر تلبيس إبليس عَلَى الصوفية فِي ترك التشاغل بالعلم]: اعلم أن أول تلبيس إبليس عَلَى الناس صدهم عَنِ العلم؛ لأن العلم نور فَإِذَا أطفا مصابيحهم خبطهم فِي الظلم كيف شاء، وَقَدْ دخل عَلَى الصوفية فِي هَذَا الفن من أبواب، أحدها: أنه منع جمهورهم من العلم أصلًا، وأراهم أنه يحتاج إِلَى تعب وكلف، فحسن عندهم الراحة، فلبسوا المراقع وجلسوا عَلَى بساط البطالة.

وقال أيضًا في تلبيس إبليس: قد سبق القول بأن العلم نور، وأن إبليس يحسن للإنسان إطفاء النور؛ ليتمكن مِنْهُ فِي الظلمة، ولا ظلمة كظلمة الجهل.

وقال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجموع شرح المهذب (١/ ٢٠): العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح البصائر في الظلم، به تبلغ منازل الأبرار ودرجات الأخيار، والتفكر فيه ومدارسته ترجح على الصلاة، وصاحبه مبجل مكرم.

وقال سفيان بن عيينه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن ترك الناس **العلم** صار الناس جهالًا[١].

وروى ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في إعلام الموقعين (٢/ ١٨٢):**

عن الْإِمَام أَحْمَد **أنه قال:** وَلَوْلَا الْعِلْمُ كَانَ النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ. **وَقَالَ**: النَّاسُ أَحْوَجُ إِلَى الْعِلْمِ مِنْهُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ لِأَنَّ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَالْعِلْمُ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلَّ وَقْت.

وقال الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا ريب أن العلم هو مفتاح كل خير، وهو الوسيلة إلى أداء ما أوجب الله وترك ما حرم الله، فإن العمل نتيجة العلم لمن وفقه الله، وهو مما يؤكد العزم على كل خير، فلا إيمان ولا عمل ولا كفاح ولا جهاد إلا بالعلم، فالأقوال والأعمال التي بغير علم لا قيمة لها، ولا نفع فيها بل تكون لها عواقب وخيمة، وقد تجر إلى فساد كبير وإنما يعبد الله ويؤدي حقه وينشر دينه وتحارب الأفكار الهدامة والدعوات المضللة والأنشطة المنحرفة بالعلم النافع، المتلقى عن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ، وهكذا إنما تؤدى الفرائض بالعلم، ويتقى الله بالعلم، وبه تكشف الحقائق الموجودة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال جل وعلا في كتابه العزيز: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

إلى أن قال: وإنما يعمل أهل الباطل وينشطون عند اختفاء العلم وظهور الجهل، وخلو الميدان ممن يقول: قال الله وقال الرسول، فعند ذلك يستأسدون

---

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/ ١٤٨).

ضد غيرهم وينشطون في باطلهم، لعدم وجود من يخشونهم من أهل الحق والإيمان وأهل البصيرة[١].اهـ

وقال ابن القيم في نونيته الكافية الشافية (ص: ٢٦٥):

والجهل داء قاتل وشفاؤه ... أمران في التركيب متفقان

نص من القرآن أو من سنة ... وطبيب ذاك العالم الرباني

(١) [أهمية العلم في محاربة الأفكار الهدامة]، [مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٥٩)].

فضل العلم

العلم فضله عظيم، وشرفه كبير، والأدلة على ذلك كثير من القرآن الكريم، ومن سنة نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ومن كلام أئمة الدين.

- **فمما جاء في القرآن الكريم في بيان فضل العلم:**

❁ **قول الله تعالى:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٤٨):

استشهد سبحانه بأولى العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده فقال:﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾، وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه: أحدها استشهادهم دون غيرهم من البشر، والثاني اقتران شهادتهم بشهادته، والثالث اقترانها بشهادة ملائكته ... **اهـ**

❁ **وقول الله تعالى:** ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٥١):

الوجه الحادي والعشرون: أنه سبحانه أخبر أنهم أهل خشيته، بل خصهم من بين الناس بذلك، فقال تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، وهذا حصر لخشيته في أولى العلم. اهـ

قال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٨٩):

فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله. اهـ

وقول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في فتح الباري (١/ ١٤١):

وقوله عَزَّوَجَلَّ رب زدني علمًا واضح الدلالة في فضل العلم؛ لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم. اهـ

وقال القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم[(١)]. اهـ

وقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

---

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٤١).

قال القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ أي: في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم. **وقال ابن مسعود:** مدح الله العلماء في هذه الآية. والمعنى أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم (درجات) أي درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به[(١)].اهـ

❁ **وقول الله تعالى:** ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٥٥):

الوجه الثالث والثلاثون: أن الله سبحانه جعل صيد الكلب الجاهل ميتة يحرم أكلها، وأباح صيد الكلب المعلم، وهذا أيضًا من شرف العلم أنه لا يباح إلا صيد الكلب العالم، وأما الكلب الجاهل فلا يحل أكل صيده، فدل على شرف العلم وفضله. اهـ

---

(١) تفسير القرطبي(١٧/ ٢٩٩).

▪ **ومما جاء في فضل العلم في سنة النبي ﷺ:**

ما رواه البخاري برقم (٧١)، ومسلم (١٠٧٣):

عن معاوية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**».

قال النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح صحيح مسلم (٧/ ١٢٨):

فيه فضيلة العلم، والتفقه في الدين، والحث عليه، وسببه؛ أنه قائد إلى تقوى الله تعالى. اهـ

وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صلى الله عنه وسلم: «**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**» [رواه مسلم برقم (٢٦٩٩)].

قال ابن رجب -رَحِمَهُ اللَّهُ في جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٨):

فإن العلم يدل على الله من أقرب الطريق إليه، فمن سلك طريقه، ولم يعرج عنه، وصل إلى الله وإلى الجنة من أقرب الطرق وأسهلها فسهلت عليه الطرق الموصلة إلى الجنة كلها في الدنيا والآخرة. اهـ

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح رياض الصالحين (٥/ ٤٣٤):

من سلك هذا الطريق سهل الله له به طريقًا إلى الجنة؛ لأن العلم الشرعي تعرف به حكم ما أنزل الله، تعرف به شريعة الله، تعرف به أوامر الله، تعرف به نواهي الله، فتستدل به على الطريق الذي يرضى الله عَزَّوَجَلَّ ويوصلك إلى الجنة، وكلما ازددت حرصًا في سلوك الطرق الموصلة إلى العلم ازددت طرقًا توصلك إلى الجنة.

وفي هذا الحديث من الترغيب في طلب العلم ما لا يخفى على أحد، فينبغي للإنسان أن ينتهز الفرصة، ولا سيما الشاب الذي يحفظ سرِيعًا، ويمكث في ذهنه ما حفظه، ينبغي له أن يبادر الوقت، يبادر العمر قبل أن يأتيه ما يشغله عن ذلك. اهـ

وقال أبو داود في سننه (٣/ ٣١٧) (٣٦٤١):

حدثنا مسدد بن مسرهد، حدثنا عبد الله بن داود، سمعت عاصم بن رجاء بن حيوة، يحدث عن داود بن جميل، عن كثير بن قيس، قال: كنت جَالِسًا مع أبي الدرداء، في مسجد دمشق فجاءه رجل، فقال: يا أبا الدرداء: إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني، أنك تحدثه، عن رسول الله ﷺ ما جئت لحاجة، قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دِينَارًا، ولا دِرْهَمًا ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**». [وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٧)].

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح رياض الصالحين (٥/ ٤٤١):

وهذا يدل على فضل العلم، وأن العلماء يستغفر لهم أهل السماء والأرض وحتى الحيتان في البحر وحتى الدواب في البر كل شيء يستغفر له.

إلى أن قال:

المهم أن الله تعالى سخر هذه الكائنات تستغفر للعالم، وأفضل من ذلك أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، الملائكة الكرام الذين كرمهم الله عَزَّوَجَلَّ تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أترون فَضْلًا أعظم من هذا أن الملائكة ملائكة الله عَزَّوَجَلَّ تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع هذا فضل عظيم. اهـ

وروى الترمذي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه (٤/ ١٣٩) (٢٣٢٢):

عن أبي هريرة، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٠٩).

وروى مسلم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (٣/ ١٢٥٥) (١٦٣١):

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

قال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح صحيح مسلم (١١/ ٨٥):

قوله ﷺ «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة؛ لكونه كان سببها فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف. وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح، وقد سبق بيان اختلاف أحوال الناس فيه وأوضحنا ذلك في كتاب النكاح. وفيه

دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه وبيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع. اهـ

وقال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح رياض الصالحين (٤/ ٥٦٧):

وأفضل هذه الثلاثة العلم الذي ينتفع به، واضرب لكم مثلًا بل أمثالا كثيرة أبو هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أفقه الصحابة بعد الرسول ﷺ يسقط أحيانًا على الأرض من شدة الجوع ومع ذلك أكثر المسلمين الآن لا يقرءون إلا رواياته؛ فهو الذي نقل لنا هذه الأحاديث وهي صدقة جارية إذا ما قورنت بأي صدقات أخرى في عهده.

الإمام أحمد شيخ الإسلام ابن تيمية يدرسنا وهو في قبره؛ لأن كتبه بين أيدينا أكبر خليفة، أكبر تاجر في عهد ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ هل وصل خيرهم إلينا اليوم؟ أبدًا إذا العلم أنفع الثلاثة؛ فالصدقة الجارية قد تتعثر والولد الصالح قد يموت لكن العلم النافع الذي ينتفع به المسلمون باق إلى ما شاء الله، فاحرص أخي على العلم؛ فهو لا يعدله شيء كما قال الإمام أحمد لمن صحت نيته فاحرص على العلم الشرعي وعلى مساعداته كالنحو وما أشبه ذلك حتى ينفعك الله وينفع بك والله الموفق. اهـ

- **ومما ذكره أهل العلم في فضل العلم:**

١- أنه رفعة لصاحبه في الدنيا والآخرة:

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٦٤):

الوجه الثامن والثلاثون بعد المائة: إن العلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة، ما لا يرفعه الملك ولا المال ولا غيرهما، فالعلم يزيد الشريف شرفًا، ويرفع العبد المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك، كما ثبت في الصحيح من حديث الزهري عن أبي الطفيل، أن نافع بن عبد الحارث أتى عمر بن الخطاب بعسفان، وكان عمر استعمله على أهل مكة، فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي، قال: استخلفت عليهم ابن أبزي، فقال من ابن أبزي، فقال: رجل من موالينا، فقال عمر استخلفت عليهم مولى، فقال إنه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض، فقال عمر أما إن نبيكم قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين**»[(١)].

قال أبو العالية: كنت آتي ابن عباس وهو على سريره وحوله قريش، فيأخذ بيدي فيجلسني معه على السرير، فتغامز بي قريش، ففطن لهم ابن عباس فقال: كذا هذا العلم يزيد الشريف شرفًا، ويجلس المملوك على الأسرة.

وقال إبراهيم الحربي: كان عطاء ابن أبي رباح عَبِيدًا أسود لامرأة من مكة، وكان أنفه كأنه باقلاء، قال: وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم فما زالوا

---

(١) رواه مسلم (٨١٧).

يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه قوما فقاما فقال: يا بني لا تنيا في طلب العلم؛ فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود.

قال الحربي: وكان محمد بن عبد الرحمن الأوقص عنقه داخل في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما زجان، فقالت أمه: يا بني لا تكون في مجلس قوم إلا كنت المضحوك منه، المسخور به، فعليك بطلب العلم؛ فإنه يرفعك، فولى قضاء مكة عشرين سنة، قال: وكان الخصم إذا جلس إليه بين يديه يرعد حتى يقوم، قال: ومرت به امرأة وهو يقول: اللهم اعتق رقبتي من النار، فقالت له يا ابن أخي وأي رقبة لك.[انتهى كلام ابن القيم].

وروى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٦٨):

عن عُمَرُ بنُ مُدرك: حَدَّثَنَا القَاسِمُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا أَشْعَثُ بنُ شُعْبَةَ المصِّيصي، قَالَ: قَدِمَ الرَّشِيْدُ الرَّقة، فَانْجَفَلَ النَّاسُ خَلْفَ ابْنِ المُبَارَكِ، وَتَقَطَّعَتِ النِّعَالُ، وَارتَفَعَتِ الغَبَرَةُ، فَأَشرَفَتْ أُمُّ وَلَدٍ لأَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ مِنْ بُرْجٍ مِنْ قَصْرِ الخَشَبِ، فَقَالَتْ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: عَالِمٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ قَدِمَ. قَالَتْ: هَذَا -وَاللهِ- المُلْكُ، لاَ مُلْكَ هَارُوْنَ الَّذِي لاَ يَجْمَعُ النَّاسَ إِلاَّ بِشُرَط وَأَعْوَانٍ.

٢- أنه بالعلم ينال شرف الدنيا والآخرة:

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة (١/ ١٦٥):

قال سفيان الثوري: من أراد الدنيا والآخرة فعليه بطلب العلم.

وقال عبدالله بن داود: سمعت سفيان الثوري يقول إن هذا الحديث عز فمن أراد به الدنيا وجدها، ومن أراد به الآخرة وجدها.

وقال النضر بن شميل: من أراد أن يشرف في الدنيا والآخرة فليتعلم العلم، وكفي بالمرء سعادة أن يوثق به في دين الله، ويكون بين الله وبين عباده. [انتهى كلام ابن القيم].

وقال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجموع شرح المهذب (١/ ٢٠):

قال الشافعي: من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم.

٣- بالعلم تعرف الفتن:

روى ابن سعد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الطبقات الكبرى ط العلمية (٧/ ١٢٢):عن الْحَسَنَ قال: إِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا كُلُّ عَالِمٍ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كل جاهل. اهـ

- **ومما ذكر في فضل العلم:**

قول علي -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كَفي بالعلمِ شَرَفًا أن يدَّعيه مَن لا يحسنُهُ، ويفرحَ إذا نُسِبَ إليهِ، وكَفي بالجهلِ ذمًّا أن يتبرأَ منهُ مَن هوَ فيهِ[(١)].

وقال الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ النَّافِلَةِ**»[(٢)].

وقال: لَيْسَ بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، قِيلَ لَهُ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟، قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ[(٣)].

---

(١) النكت الوفية بما في شرح الألفية (٢/ ٢٩٣).

(٢) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص: ١١٣).

(٣) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: ٣١٠) رقم (٤٧٥).

وقال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجموع شرح المهذب (١/ ٢١):

والحاصل: أنهم متفقون على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن. ومن دلائله سوى ما سبق أن نفع العلم يعم صاحبه والمسلمين والنوافل المذكورة مختصة به: ولأن العلم مصحح فغيره من العبادات مفتقر إليه ولا ينعكس ولأن العلماء ورثة الأنبياء ولا يوصف المتعبدون بذلك: ولأن العابد تابع للعالم مقتد به مقلد له في عبادته وغيرها واجب عليه طاعته ولا ينعكس: ولأن العلم تبقى فائدته وأثره بعد صاحبه والنوافل تنقطع بموت صاحبها. ولأن العلم صفة لله تعالى. اهـ

وفضائل العلم كثيرة، ومن أراد التوسع في ذلك فليعد إلى كتاب مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنه قد ذكر فضائل كثيرة للعلم.

العلم الممدوح في الكتاب والسنة

قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (١١/ ٣٩٦):

والعلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثته الأنبياء. كما قال النبي ﷺ: «**إن العلماء ورثة الأنبياء؛ إن الأنبياء لم يورثوا دِرْهَمًا ولا دِينَارًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[(١)].

وقال ايضا كما في مجموع الفتاوى:

والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول.

وقال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري لابن حجر (١/ ١٤١):

والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته، ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص.

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٦٨):

فلو عرف العبد كل شيء ولم يعرف ربه، فكأنه لم يعرف شيئًا.

وقال في مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٣٩):

ومن أحالك على غير أخبرنا وحدثنا فقد أحالك: إما على خيال صوفي، أو قياس فلسفي. أو رأي نفسي. فليس بعد القرآن وأخبرنا وحدثنا إلا شبهات المتكلمين. وآراء المنحرفين، وخيالات المتصوفين، وقياس المتفلسفين. ومن فارق الدليل، ضل عن سواء السبيل. اهـ

---

(١) رواه ابن ماجة (٢٢٣)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)،عن أبي الدرداء. وصححه الألباني.

وروى أبو نعيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٣٦٧):

عن سفيان الثوري، قال: إنما العلم بالآثار.

وقال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح صحيح البخاري:

العلم الذي فيه الفضل وفيه الحسن هو العلم بشريعة الله، وليس العلم لما يعود إلى أمور دنيوية، فالعلم لما يعود إلى الأمور الدنيوية إن كانت وسيلة لغاية شرعية فله حكم الوسائل، وإن كان ضارا فهو محرم، وإن كان لا ضارا ولا نافعًا فهو لغو وإضاعة للوقت، فكل النصوص التي فيها مدح العلم، والثناء على أهله، إنما أراد به العلم الشرعي وما كان وسيلة لذلك فله حكم الوسائل.

وقال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب العلم (ص: ٩):

والذي يعنينا هو العلم الشرعي، والمراد به: علم ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى، فالعلم الذي فيه الثناء والمدح هو علم الوحي، علم ما أنزل الله فقط.

إلى أن قال:

إذن فالعلم الشرعي هو الذي يكون فيه الثناء ويكون الحمد لفاعله، ولكني مع ذلك لا أنكر أن يكون للعلوم الأخرى فائدة، ولكنها فائدة ذات حدين: إن أعانت على طاعة الله وعلى نصر دين الله وانتفع بها عباد الله، فيكون ذلك خيرًا ومصلحة، وقد يكون تعلمها وَاجِبًا في بعض الأحيان إذا كان ذلك دَاخِلًا في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال:٦٠].

وقد ذكر كثير من أهل العلم أن تعلم الصناعات فرض كفاية؛ وذلك لأن الناس لا بد لهم من أن يطبخوا بها، ويشربوا بها، وغير ذلك من الأمور التي

ينتفعون بها، فإذا لم يوجد من يقوم بهذه المصانع صار تعلمها فرض كفاية. وذا محل جدل بين أهل العلم الشرعي الذي هو فقه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما عدا ذلك فإما أن يكون وسيلة إلى خير أو وسيلة إلى شر، فيكون حكمه بحسب ما يكون وسيلة إليه. اهـ

وقال الشاعر:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبي رأي فقيه

الإخلاص في طلب العلم

الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ يعتبر من أعظم العبادات، ولا يقبل العمل إلا به، فلا بد لطالب العلم أن يكون قصده في طلبه للعلم هو ابتغاء وجه الله والدار الآخرة.

وقد أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالإخلاص في كتابه الكريم في العديد من الآيات:

❁ ومنها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

❁ وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وقد جاء في سنة النبي ﷺ أحاديث كثيرة تحث على الإخلاص، وتحذر من عدم الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ. وأذكر هنا شيئًا مما جاء في ذلك مما له صلة بباب العلم فمن ذلك:

❁ **ما رواه الإمام مسلم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه برقم (١٩٠٥)** فقال: حدثنا يحيى بن حبيب الحارثي، حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا ابن جريج، حدثني يونس بن يوسف، عن سليمان بن يسار، قال: تفرق الناس عن أبي هريرة، فقال له ناتل أهل الشام: أيها الشيخ، حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ، قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ**

القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار».

قال العلامة ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح رياض الصالحين (٦/ ٣٤٥):

وهذا دليل على أنه يجب على طالب العلم في طلب العلم أن يخلص نيته لله عَزَّوَجَلَّ وألا يبالي أقال الناس أنه عالم أو شيخ أو أستاذ أو مجتهد أو ما أشبه ذلك لا يهمه هذا الأمر، لا يهمه إلا رضا الله عَزَّوَجَلَّ حفظ الشريعة وتعليمها ورفع الجهل عن نفسه ورفع الجهل عن عباد الله حتى يكتب من الشهداء الذين مرتبتهم بعد مرتبة الصديقين: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾.

وأما من تعلم لغير ذلك، ليقال إنه عالم وإنه مجتهد وإنه علامة وما أشبه لك من الألقاب فهذا عمله حابط والعياذ بالله، وهو أول من يقضى عليه ويسحب على وجهه في النار ويكذب يوم القيامة ويوبخ. **اهـ**

وروى ابن ماجة في سننه (١/ ٩٣) برقم (٢٥٣):

عنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي النَّارِ**». وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة.

وروى ابو داود -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه (٣٦٦٤)، وابن ماجة في سننه (٢٥٢):

عن أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله عَزَّوَجَلَّ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرْضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**» يعني ريحها. وصححه الألباني.

وكلام العلماء في الإخلاص كلام كثير أذكر جملة من ذلك مما يتعلق بالإخلاص في طلب العلم فمن ذلك: **ما قاله أبو يوسف--رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:** العلم عبادة من العبادات، وقربة من القرب، فإن صحح فيه النية، قُبل وزكى، ونمت بركتُهُ، وإن قصد به غير وجه الله -تعالى- حبط وضاع، وخسرت صفقتهُ، وربما تفوته تلك المقاصد ولا ينالها، فيخيب قصده، ويضيع سعيه[(١)].

وقال سفيان الثوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

لا أَعْلَمُ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ مِنَ الْعِلْمِ أَوِ الْحَدِيثِ لِمَنْ حَسُنَتْ فِيهِ نِيَّتُهُ[(٢)].

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٢١): فمن طلب العلم ليحيى به الإسلام فهو من الصديقين، ودرجته بعد درجة النبوة. **اهـ**

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم (ص٦٨).

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: ٣٠٩).

وقَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**مَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ لِغَيْرِ اللهِ، مَكَرَ بِهِ**»[(١)].

وقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِوَجْهِ اللهِ لَمْ يَزَلْ مُعَانًا، وَمَنْ طَلَبَهُ لِغَيْرِ اللهِ لَمْ يَزَلْ مُهَانًا[(٢)].

قال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله تعالى في اللآلئ البهية شرح الفواكه الجنية:

وإذا فسدت النية في طلب العلم فلا يترك الإنسان العلم؛ بل يستمر في العلم ويجتهد في إصلاح النية، ويدعو ربه عَزَّوَجَلَّ، فكم من شخص طلب العلم لغير الله ثم غير الله نيته، كما جاء هذا عن جماعة من السلف منهم سفيان الثوري، حدث بذلك عن نفسه **وقال**: (طلبت العلم لغير الله فأبى الله إلا أن يكون له)، فقد تفسد النية في أول الطلب فيغير الله بعد ذلك النية ويصلحها .

وقال معمر وغير واحد ممن مضى: (إن الرجل ليطلب العلم لغير الله فيأبى عليه العلم حتى يكون لله)، فإن العلم يدعو إلى الإخلاص، والإنسان إذا طلب العلم فإنه ينتفع بعلمه فإنه يقرأ الكثير من الزواجر عن الرياء وإرادة غير الله، ويقرأ كثيرًا من أدلة الترغيب في الإخلاص، ويقرأ الأمور النافعة في العلم مما يكون له موعظة فيتعظ بما يتعلم، وتصلح نيته شيئًا فشَيْئًا. **اهـ**

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٨٤).

(٢) المدخل لابن الحاج (٢/ ١٤٣).

العمل بالعلم

اعلم يا طالب العلم أن العمل بالعلم هو ثمرة العلم ومقصوده؛ لذلك يجب على طالب العلم أن يحرص على العمل بعلمه في كل أموره. **وربنا** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **يقول:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢-٣].

قال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره "تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٥٨)":

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به.

فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟!

ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه، قال تعالى: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾ وقال شعيب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ .اهـ

وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٥٩):

وفي هذا دليل على أن الإنسان الذي يفعل ما ينهى عنه، أو يترك ما أمر به مخالف لطريقة الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم لا يمكن أن يخالفوا الناس إلى ما ينهونهم عنه. اهـ

وقال النبي ﷺ: «**والقرآن حجة لك أو عليك**» رواه مسلم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري .

قال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح صحيح مسلم (٣/ ١٠٢):

والقرآن حجة لك أو عليك فمعناه ظاهر أي تنتفع به إن تلوته وعملت به وإلا فهو حجة عليك. **اهـ**

ولقد كان السلف رحمهم الله يحرصون على العمل بما يتعلمون من العلم فهذا **ابن مسعود -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول:** "كان الرجل مَنَّا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ".

وقال الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسنده برقم(٢٣٤٨٢):

حدثنا محمد بن فضيل، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم كانوا «**يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات**»، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل.

وقال الإمام أَحْمَدُ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

«مَا كَتَبْتُ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا وَقَدْ عَمِلْتُ بِهِ، حَتَّى مَرَّ بِي الْحَدِيثُ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ احْتَجَمَ وَأَعْطَى أَبَا طَيْبَةَ دِينَارًا «، فَأَعْطَيْتُ الْحَجَّامَ دِينَارًا حَتَّى احْتَجَمْتُ»[(١)].

وقال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَهْدِيّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُوْلُ: مَا بَلَغَنِي عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ حدِيْثٌ قَطُّ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، وَلَوْ مَرَّةً[(٢)].

- **وإليك يا طالب العلم بعض نصائح العلماء في العمل بالعلم:**

قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صيد الخاطر (ص: ١٥٩):

فالله الله في العمل بالعلم، فإنه الأصل الأكبر. والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فقدم مفلسًا، على قوة الحجة عليه.

وقال الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اقتضاء العلم العمل (ص: ١٤):

ثُمَّ إِنِّي مُوصِيكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي طَلَبِهِ، **وَإِجْهَادِ النَّفْسِ عَلَى الْعَمَلِ بِمُوجَبِهِ**، فَإِنَّ الْعِلْمَ شَجَرَةٌ وَالْعَمَلَ ثَمَرَةٌ، وَلَيْسَ يُعَدُّ عَالِمًا مَنْ لَمْ يَكُنْ بِعِلْمِهِ عَامِلًا، وَقِيلَ: الْعِلْمُ وَالِدٌ وَالْعَمَلُ مَوْلُودٌ، وَالْعِلْمُ مَعَ الْعَمَلِ، وَالرِّوَايَةُ مَعَ الدِّرَايَةِ فَلَا تَأْنَسْ بِالْعَمَلِ مَا دُمْتَ مُسْتَوْحِشًا مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا تَأْنَسْ بِالْعِلْمِ مَا كُنْتَ مُقَصِّرًا فِي الْعَمَلِ وَلَكِنِ اجْمَعْ بَيْنَهُمَا، وَإِنْ قَلَّ نَصِيبُكَ مِنْهُمَا، وَمَا شَيْءٌ أَضْعَفُ

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ١٤٤).

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٦/ ٦٤٩).

مِنْ عَالِمٍ تَرَكَ النَّاسُ عِلْمَهُ لِفَسَادِ طَرِيقَتِهِ، وَجَاهِلٍ أَخَذَ النَّاسُ بِجَهْلِهِ لِنَظَرِهِمْ إِلَى عِبَادَتِهِ وَالْقَلِيلُ مِنْ هَذَا مَعَ الْقَلِيلِ مِنْ هَذَا أَنْجَى فِي الْعَاقِبَةِ إِذَا تَفَضَّلَ اللهُ بِالرَّحْمَةِ، وَتَمَّمَ عَلَى عَبْدِهِ النِّعْمَةَ، فَأَمَّا الْمُدَافَعَةُ وَالْإِهْمَالُ وَحُبُّ الْهُوَيْنَى وَالِاسْتِرْسَالُ، وَإِيثَارُ الْخَفْضِ وَالدَّعَةِ وَالْمَيْلِ مَعَ الرَّاحَةِ وَالسَّعَةِ، فَإِنَّ خَوَاتِمَ هَذِهِ الْخِصَالِ ذَمِيمَةٌ، وَعُقْبَاهَا كَرِيهَةٌ وَخِيمَةٌ، وَالْعِلْمُ يُرَادُ لِلْعَمَلِ كَمَا الْعَمَلُ يُرَادُ لِلنَّجَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْعَمَلُ قَاصِرًا عَنِ الْعِلْمِ، كَانَ الْعِلْمُ كَلًّا عَلَى الْعَالِمِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ عَادَ كَلًّا، وَأَوْرَثَ ذُلًّا، وَصَارَ فِي رَقَبَةِ صَاحِبِهِ غَلًّا. اهـ

واعلم يا طالب العلم أن ترك العمل بالعلم من أسباب ذهاب العلم وحرمانه ونسيانه.

قال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

هَتَفَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ، وَإِلَّا ارْتَحَلَ[1].

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٧٢):

والمقصود بيان حرمان العلم من هذه الوجوه الستة:

أحدها: ترك السؤال.

الثاني: سوء الإنصات وعدم إلقاء السمع.

الثالث: سوء الفهم.

الرابع: عدم الحفظ.

---

(١) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص: ٣٦).

الخامس: عدم نشره وتعليمه، فإن من خزن علمه ولم ينشره ولم يعلمه ابتلاه الله بنسيانه وذهابه منه؛ جزاء من جنس عمله، وهذا أمر يشهد به الحس.

والوجه السادس: عدم العمل به، فإن العمل به يوجب تذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه، فإذا أهمل العمل به نسيه، قال بعض السلف: كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به، وقال بعض السلف أيضًا: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه حل وإلا ارتحل، فالعمل به من أعظم أسباب حفظه وثباته، وترك العمل به إضاعة له، فما استدر العلم ولا استجلب بمثل العمل . اهـ

واعلم يا طالب العلم أن العمل بالعلم من أسباب زيادته.

قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (٧/ ٣٣٩):

ولهذا قيل: من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.

وروى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء ط الحديث (٧/ ٣٩٦):

عن الفضيل أنه قال: وَمَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، وَفَّقَهُ اللهُ لِمَا لاَ يَعْلَمُ. اهـ

فينبغي على طالب العلم كلما حصل له علم أن يحدث فيه عبادة.

وقد روى ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٤٥): عن أَبي قِلَابَةَ أنه قال لِأَيُّوبَ: إذَا حَدَثَ لَك عِلْمٌ فَأَحْدِثْ فِيهِ عِبَادَةً وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ النَّاسَ. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ سَمِعْتُ وَكِيعًا يَقُول: قَالَتْ أُمُّ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: اذْهَبْ فَاطْلُبْ الْعِلْمَ حَتَّى أَعُولَكَ أَنَا بِمِغْزَلِي، فَإِذَا كَتَبْتَ عَشَرَةَ أَحَادِيثَ فَانْظُرْ هَلْ فِي نَفْسِكَ زِيَادَةٌ فَابْتَغِهِ وَإِلَّا فَلَا تَتَعَنَّى.

والنبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» [رواه البخاري (٧٣١٢)، ومسلم ١٠٠ -(١٠٣٧)، من حديث معاوية -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ].

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٨٩): لم يكن السلف يطلقون اسم الفقه إلا على العلم الذي يصحبه العمل.

قال شيخنا أبو بكر الحمادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح جامع العلوم والحكم:

الفقيه في كلام من سبق هو العامل بعلمه كما ذكره ابن القيم في مفتاح دار السعادة، وهو المراد في حديث معاوية -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. اهـ

وقد تعوذ النبي ﷺ من العلم الذي لا ينفع.

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه برقم(٢٧٢٢)، عن زيد بن أرقم، قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب، القبر اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**».

قال المناوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٢٠٧):

«**اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذ بك من علم لَا ينفع**» **وَهُوَ مَا لَا يَصْحَبهُ عمل**، أَو مَا لم يُؤذن فِي تعلمه شرْعًا، أَو مَا لَا يهذب الْأَخْلَاق. اهـ

وقد ذم الله اليهود الذين حملوا التوراة ولم ينتفعوا بها ويعملوا بها، وجعلهم كالحمار يحمل أسفارا. **فقال تعالى:** ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في التفسير القيم (ص: ٥٤٣):

قاس من حمله سبحانه كتابه ليؤمن به، ويعمل به، ويدعو إليه. ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقرأه بغير تدبر، ولا تفهم، ولا اتباع له، ولا تحكيم له، ولا عمل بموجبه: كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، فحظه منها: حملها على ظهره ليس إلا. فحظ هذا من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره.

فهذا المثل، وإن كان قد ضرب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته.

وقال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

يقول تعالى ذاما لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، فلم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا، أي: كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدري ما فيها، فهو يحملها حِمْلًا حسيا ولا يدري ما عليه. وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظًا ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه، فهم أسوأ حالًا من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقال هاهنا: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.اهـ

العمل بغير علم

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٨٢):

الوجه الثالث والسبعون: أن العلم إمام العمل وقائد له، والعمل تابع له ومؤتم به، **فكل عمل لا يكون خلف العلم** مُقْتَدِيًا به فهو غير نافع لصاحبه، بل مضرة عليه، كما قال بعض السلف من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، والأعمال إنما تتفاوت في القبول والرد بحسب موافقتها للعلم ومخالفتها له، فالعمل الموافق للعلم هو المقبول، والمخالف له هو المردود، فالعلم هو الميزان وهو المحك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾، **قال الفضيل بن عياض**: هو أخلص العمل وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال: إن العمل إذا كان خالِصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالِصًا لم يقبل، حتى يكون خالِصًا وصوابا، فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، وقد قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾، فهذا هو العمل المقبول الذي لا يقبل الله من الأعمال سواه، وهو أن يكون موافقًا لسنة رسول الله مرادًا به وجه الله، ولا يتمكن العامل من الإتيان بعمل يجمع هذين الوصفين إلا بالعلم، فإنه إن لم يعلم ما جاء به الرسول لم يمكنه قصده، وإن لم يعرف معبوده لم يمكنه إرادته وحده، فلولا العلم لما كان عمله مَقْبُولًا، فالعلم هو الدليل على الاخلاص، وهو الدليل على المتابعة، وقد قال

الله تعالى:﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، وأحسن ما قيل في تفسير الآية إنه إنما يتقبل الله عمل من اتقاه في ذلك العمل، وتقواه فيه أن يكون لوجهه على موافقة أمره، وهذا إنما يحصل بالعلم، وإذا كان هذا منزلة العلم وموقعه علم أنه أشرف شيء وأجله وأفضله، والله أعلم.

وقال عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «مَنْ عَمِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ»[1].

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله في شرح ثلاثة الأصول (ص: ٢٥):

كما أن العمل بدون علم يكون وبالا وضلالا على صاحبه، إذا كان الإنسان يعمل بدون علم فإن عمله وبال وتعب على صاحبه، قال ﷺ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**» .

ولهذا نقرأ في الفاتحة في كل ركعة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧] .

فسمى الله الذين يعملون بدون علم الضالين، والذين يعلمون ولا يعملون بالمغضوب عليهم، فلنتنبه لذلك فإنه مهم جدًا.

(١) الزهد لأحمد بن حنبل برقم (١٧٣٧)

أخذ العلم من أهله

على طالب العلم أن يحرص على أخذ العلم من أهله، وهم أهل السنة والجماعة، وأن يحذر من أهل البدع ومن أخذ العلم عنهم، والسماع لهم، والجلوس معهم.

وإليك بعض أقوال السلف التي تحث على أخذ العلم من أهله:

قال محمد بن سيرين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم"[(١)].

وقال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"[(٢)].

وقال محمد بن صالح بن هانىء -رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا أحمدُ بن شهاب الإسفراييني: **سمعتُ أحمد بن حنبل**، وسُئِلَ عمَّن نكتب في طريقنا، فقال: عليكم بهَنَّاد، وبسفيان بن وكيع، وبمكة ابن أبي عمر، وإيّاكم أن تكتُبوا، يعني: عن أحدٍ من أصحاب الأهواء، قليلًا ولا كثيرًا. عليكم بأصحاب الآثار والسنن[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٤).

(٢) صحيح مسلم (١/ ١٥).

(٣) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١١/ ٤٣١).

وقال البربهاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح السنة (١٠٧):

وإياك والنظر في الكلام والجلوس إلى أصحاب الكلام، وعليك بالآثار، وأهل الآثار، وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس.

وروى الخطيب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكفاية في علم الرواية (١ / ١٢٢) عن علي بن حرب قال:

من قدر أن لا يكتب الحديث إلا عن صاحب سنة، فإنهم يكذبون، كل صاحب هوى يكذب، ولا يبالي.

وقال الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٣٦):

وَإِذَا كَانَ الرَّاوِي مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْمَذَاهِبِ الَّتِي تُخَالِفُ الْحَقَّ لَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ، وَإِنْ عُرِفَ بِالطَّلَبِ وَالْحِفْظِ.

وروى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٧/ ١٦٢):

عنْ مَالِكٍ، أنه قَالَ: لاَ يُؤْخَذُ العِلْمُ عَنْ أَرْبَعَةٍ: سَفِيْهٍ يُعلِنُ السَّفَهَ، وَإِنْ كَانَ أَرْوَى النَّاسِ، وَصَاحِبِ بِدْعَةٍ يَدعُو إِلَى هَوَاهُ، وَمَنْ يَكْذِبُ فِي حَدِيْثِ النَّاسِ، وَإِنْ كُنْتُ لاَ أتهمه في الحَدِيْثِ، وَصَالِحٍ عَابِدٍ فَاضِلٍ، إِذَا كَانَ لاَ يَحْفَظُ مَا يُحَدِّثُ بِهِ.

قال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله[1]:

لو كان -أي المبتدع- من أعلم الناس ومن أحفظ الناس، ما يؤخذ منه العلم، يبقى الإنسان على جهله أفضل من أن يفتتن ببعض أهل البدع والأهواء، فيكون عرض نفسه لسخط الله عَزَّوَجَلَّ وعرض نفسه لنار جهنم والعياذ بالله...

---

(١) كتاب جمع الفوائد الفريدة الواضحة الصريحة لشيخنا الحمادي في أهل الأهواء والبدع المذمومة القبيحة. للأخ الفاضل أبي أنس ماجد بن حمود بن أحمد حاجب.

الحذر من القراءة في كتب أهل البدع

حذر السلف رحمهم الله تعالى من القراءة في كتب أهل البدع، والنظر فيها.

ومن كلامهم في ذلك:

ما ذكره الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ميزان الاعتدال (١/ ٤٣١):

عن الحافظ سعيد بن عمرو البردعي أنه قال: شهدت أبا زرعة -وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه- **فقال للسائل**: إياك وهذه الكتب، هذه [كتب] بدع وضلالات، عليك بالأثر، فإنك تجد فيه ما يغنيك. قيل له: في هذه الكتب عبرة.

فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن سفيان وَمَالِكًا والأوزاعي صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس، ما أسرع الناس إلى البدع!.

وقال ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢٣٢):

وَذَكَرَ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ --رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فِي الْمَنْعِ مِنْ النَّظَرِ فِي كُتُبِ الْمُبْتَدِعَةِ قَالَ: كَانَ السَّلَفُ يَنْهَوْنَ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِهِمْ وَالِاسْتِمَاعِ لِكَلَامِهِمْ.

وقال أيضًا في الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ١٩٩):

وَنَصَّ الْإِمَامُ أَحْمَدُ --رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عَلَى الْمَنْعِ مِنْ النَّظَرِ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالْبِدَعِ الْمُضِلَّةِ وَقِرَاءَتِهَا وَرِوَايَتِهَا.

وروى الفسوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٩٢):

عن الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله-يعني أحمد بن حنبل- عن الكرابيسي وما أظهر؟ فكلح وجهه.

ثم قال: انما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها، تركوا آثَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأصحابه، وأقبلوا على هذه الكتب .

قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥٨):

ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحا، ويدس البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله. وقد رأيت من العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التي يعلم أو يعتقد فسادها ولا يهتدي لذلك. **اهـ**

فعلى طالب العلم الابتعاد عن كتب أهل البدع والضلال إلا إذا أراد الرد عليها، وبيان ما فيها من الضلال، وكان له القدرة على ذلك.

قال الإمام الوادعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قمع المعاند:

كتب الزيغ والضلال ينبغي لطالب العلم أن يبتعد عنها إلا من كان لديه قدرة على الرد.

وقالت اللجنة الدائمة في مجلة البحوث الإسلامية (١٩/ ١٣٨):

يحرم على كل مكلف ذكرًا أو أنثى أن يقرأ في كتب البدع والضلال، والمجلات التي تنشر الخرافات وتقوم بالدعايات الكاذبة وتدعو إلى الانحراف عن الأخلاق الفاضلة إلا إذا كان من يقرؤها يقوم بالرد على ما فيها من إلحاد

وانحراف، وينصح أهلها بالاستقامة وينكر عليهم صنيعهم ويحذر الناس من شرهم.

وقال الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما كتب الصوفية فإنه لا يجوز اقتناؤها ولا مراجعتها إلا لشخص يريد أن يعرف ما فيها من البدع من أجل أن يرد عليها فيكون في نظره إليها فائدة عظيمة وهي معالجة هذه البدعة حتى يسلم الناس منها، ومن المعلوم أن النظر في كتب الصوفية وغيرها من البدع من أجل أن يعرف الإنسان ما عندهم حتى يرد عليهم، من المعلوم أن هذا أمر مرغوب فيه إذا أمن الإنسان على نفسه من أن ينحرف من هذه الكتب[(١)].

وقال الشيخ الفوزان حفظه الله:

لا يجوز قراءة كتب المبتدعة، ولا سماع أشرطتهم، إلا لمن يريد أن يرد عليهم ويبين ضلالهم. أما الإنسان المبتدئ وطالب العلم أو العامي أو الذي لا يقرأ إلا لأجل الاطلاع فقط لا لأجل الرد وبيان حالها فهذا لا يجوز له قراءتها لأنها قد تؤثر في قلبه وتشبه عليه فيصاب بشرها فلا يجوز قراءة كتب أهل الضلال إلا لأهل الاختصاص من أهل العلم للرد عليها والتحذير منها[(٢)]. اهـ

---

(١) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٤/ ٢).

(٢) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة رقم السؤال (٤٨).

بل يقول بعض أهل العلم بإتلاف كتب أهل البدع. فهذا ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في كتاب الطرق الحكمية (ص: ٢٣٤):

وَكُلُّ هَذِهِ الْكُتُبِ الْمُتَضَمَّنَةِ لِمُخَالَفَةِ السُّنَّةِ: غَيْرُ مَأْذُونٍ فِيهَا، بَلْ مَأْذُونٌ فِي مَحْقِهَا وَإِتْلَافِهَا، وَمَا عَلَى الْأُمَّةِ أَضَرُّ مِنْهَا، وَقَدْ حَرَقَ الصَّحَابَةُ جَمِيعَ الْمَصَاحِفِ الْمُخَالِفَةِ لِمُصْحَفِ عُثْمَانَ، لَمَّا خَافُوا عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ الِاخْتِلَافِ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا هَذِهِ الْكُتُبَ الَّتِي أَوْقَعَتْ الْخِلَافَ وَالتَّفَرُّقَ بَيْنَ الْأُمَّةِ. اهـ.

وهذا الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وجه إليه سؤال[1]:

ما حكم إتلاف كتب أهل البدع ؟ فأجاب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: إتلاف كتب أهل البدع أولى من إتلاف المزمار؛ لأن هذه تغير الأديان، ولكن كما قلت لكم الذي يؤمر بذلك هو صاحبها ثم ولي الأمر.

(١) في صوتية مسجلة للشيخ.

تقييد العلم

ينبغي على طالب العلم أن يحرص على كتابة ما يتعلمه، وعلى كتابة الفوائد التي يسمعها أو يقرأها؛ فإن الكتابة تعتبر قيد للعلم.

وقد قال الرسول ﷺ: «**قيدوا العلم بالكتاب**»، [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٠٢٦)].

وقد روى الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقييد العلم(١/ ٩٩):

عن الشعبي قال: الْكِتَابُ قَيْدُ الْعِلْمِ.

وروى أيضًا في تقييد العلم (١/ ١٠٠):

عن الشعبي قال: لَا تَدَعَنَّ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا كَتَبْتَهُ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ مَوْضِعِهِ مِنَ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ يَوْمًا.

وروى أيضًا في تقييد العلم (١\١١٤):

عن الشافعي قال: «**اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ يَنِدُّ كَمَا تَنِدُّ الْإِبِلُ، فَاجْعَلُوا الْكُتُبَ لَهُ حُمَاةً، وَالْأَقْلَامَ عَلَيْهِ رُعَاةً**».

وقال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجموع شرح المهذب (١/ ٣٩):

ولا يحتقرن فائدة يراها أو يسمعها في أي فن كانت، بل يبادر إلى كتابتها ثم يواظب على مطالعة ما كتبه.

قال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله في اللآلئ البهية شرح الفواكه الجنية:

وهذه نصيحة نافعة من العلامة النووي فيما يتعلق بتدوين الفوائد، فالفوائد ثمار العلم تحتاج إلى تدوين، ورب فائدة تمر بالإنسان ولا يحرص على تدوينها ثم يحتاج إليها في وقت من الأوقات فيندم غاية الندم على تفويتها، وربما يحتاج إليها ولا يصل إليها بعد ذلك إلا بعد جهد جهيد ومشقة كبيرة وهذا إن وصل، ولو دونها من أول الأمر لوصل إلى مقصوده في أقرب طريق.

وقال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا في المجموع (١/ ٣٨):

ولا يؤخر تحصيل فائدة وإن قلت إذا تمكن منها وإن أمن حصولها بعد ساعة؛ لأن للتأخير آفات؛ ولأنه في الزمن الثاني يحصل غيرها. **اهـ**

وانظر يا طالب العلم إلى حرص العلماء على كتابة العلم.

فقد روى الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقييد العلم ج١ (ص: ١١٤):

عن الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَد أنه قالَ: "مَا سَمِعْتُ شَيْئًا إِلَّا كَتَبْتُهُ، وَلَا كَتَبْتُ شَيْئًا إِلَّا حَفِظْتُهُ، وَلَا حَفِظْتُ شَيْئًا إِلَّا انْتَفَعْتُ بِهِ".

وروى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٤):

عن مُحَمَّد بن يُوْسُفَ البُخَارِيُّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ بِمَنْزِلِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَحصيتُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَامَ وَأَسْرَجَ يَسْتَذكرُ أَشْيَاءَ يُعَلِّقُهَا فِي لَيْلَةٍ ثَمَانِ عَشْرَةَ مرَّة.

وقَالَ الحميدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

وَخَرَجْتُ مَعَ الشَّافِعِيِّ إِلَى مِصْرَ، وَكَانَ هُوَ سَاكِنًا فِي الْعُلُوِّ، وَنَحْنُ فِي الأَوْسَاطِ، فرُبَّما خَرَجْتُ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ، فَأَرَى الْمِصْبَاحَ، فَأُصِيحُ بِالْغُلامِ، فَيَسْمَعُ صَوْتِي، فَيَقُولُ: بِحَقِّي عَلَيْهِ، ارْقَ، فَأَرْقَى، فَإِذَا قِرْطَاسٌ وَدَوَاةٌ، فَأَقُولُ: مَهْ، يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، فَيَقُولُ: تَفكَّرْتُ فِي مَعْنَى حَدِيثٍ أَوْ فِي مَسْأَلَةٍ، فَخِفْتُ أَنْ يَذْهَبَ عَلَيَّ، فَأَمَرْتُ بِالْمِصْبَاحِ وَكَتَبْتُهُ[1]. اهـ

وذكر ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ١٣٤) في ترجمة الإمام الزركشي فقال:

وَكَانَ مُنْقَطِعًا فِي منزله لَا يتَرَدَّد إِلَى أحد إِلَّا إِلَى سوق الْكتب، وَإِذا حَضَره لَا يَشْتَرِي شَيْئًا، وَإِنَّمَا يطالع فِي حَانُوت الكتبي طول نَهَاره، وَمَعَهُ ظُهُور أوراق يعلق فِيهَا مَا يُعجبهُ، ثمَّ يرجع فينقله إِلَى تصانيفه.

وقال الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٨):

وَرَوَى مُحَمَّدُ بنُ يُوْسُفَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ مُبَشِّرٍ الكَرْمِيْنِيِّ، قَالَ: انكَسَرَ قَلَمُ مُحَمَّدِ بنِ سَلاَمٍ البِيْكَنْدِيِّ فِي مَجْلِسِ شَيْخٍ، فَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى: قَلَمٌ بِدِيْنَارٍ، فَطَارَتْ إِلَيْهِ الأَقلاَمُ.

قال الشافعي:

العلم صيد والكتابة قيده ... قيد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة ... وتفكها بين الخلائق طالقة

---

(١) آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٣٤) لابن أبي حاتم .

طالب العلم والحفظ

يعتبر الحفظ من الأمور المهمة لطالب العلم؛ فهو أساس العلم، ومن أعظم وسائل التمكن في العلم، وهو الذي يجعل العلم في الصدر، فيستفيد منه طالب العلم عند الحاجة إليه في التعليم والدعوة إلى الله.

وقد قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ (ص: ٣٣):

وَلَيْسَ مَنْ حَفِظَ نِصْفَ الْقُرْآنِ كَمَنْ حَفِظَ الْكُلَّ، وَلا مَنْ حَفِظَ مِائَةَ حَدِيثٍ كَمَنْ حَفِظَ أَلْفًا، وَعَلَى هَذَا فَلَيْسَ الْعِلْمُ إِلا مَا حُصِّلَ بِالْحِفْظِ.

وقال: قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ:

كُلُّ عِلْمٍ لا يَدْخُلُ مَعَ صَاحِبِهِ الْحَمَّامَ فَلا تَعُدُّهُ، وَأَنْشَدَ:

لَيْسَ بِعِلْمٍ مَا حَوَى الْقِمَطْرُ ... مَا الْعِلْمُ إِلا مَا حَوَاهُ الصَّدْرُ

قلت: القمطر: وعاء الكتب وما حواه ليس بعلم.

وقال الماوردي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أدب الدنيا والدين (ص: ٥٧):

وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا: حَرْفٌ فِي قَلْبِك، خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ فِي كُتُبِك. وَقَالُوا: لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَعْبُرُ مَعَك الْوَادِيَ، وَلَا يُعَمِّرُ بِك النَّادِيَ، وَأَنْشَدْت عَنْ الرَّبِيعِ لِلشَّافِعِيِّ --رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-:

عِلْمِي مَعِي حَيْثُ مَا يَمَّمْتُ يَنْفَعُنِي ... قَلْبِي وِعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِي

إنْ كُنْت فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِي ... أَوْ كُنْت فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

وقال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في لسان الميزان (٥/ ٤٩١) قال ابن حزم:

فإن يحرقوا القرطاس لا يحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري

وقد بوب الإمام البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب العلم باب حفظ العلم حديث رقم (١١٨) فقال:

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، قال: حدثني مالك، عن ابن شهاب، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: " إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا، ثم يتلو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩] إلى قوله ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، **ويحفظ ما لا يحفظون** ".

وروى مسلم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (٢٥-(٢٨٩٢)):

عن عمرو بن أخطب، قال: **"صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن" فأعلمنا أحفظنا.**

وروى مسلم في صحيحه (٢٤ -(١٧)):

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن المثنى، ومحمد بن بشار، وألفاظهم متقاربة، قال أبو بكر: حدثنا غندر، عن شعبة، وقال الآخران: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي جمرة، قال: كنت أترجم بين يدي ابن عباس، وبين

الناس، فأتته امرأة، تسأله عن نبيذ الجر، فقال: إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**من الوفد؟ أو من القوم؟**»، قالوا: ربيعة، قال: «**مرحبًا بالقوم، أو بالوفد، غير خزايا، ولا الندامى**»، قال: فقالوا: يا رسول الله، إنا نأتيك من شقة بعيدة، وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة، قال: فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، قال: «**أمرهم بالإيمان بالله وحده**»، وقال: «**هل تدرون ما الإيمان بالله؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمْسًا من المغنم**»، ونهاهم عن الدباء، والحنتم، والمزفت -قال شعبة: وربما قال - النقير، قال شعبة: وربما قال: المقير، وقال: «**احفظوه، وأخبروا به من ورائكم**» وقال أبو بكر في روايته: «**من وراءكم**»، وليس في روايته المقير.

وقد سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين --رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

- **ما هي الطريقة الصحيحة في طلب العلم؟ هل يكون بحفظ المتون في علوم الشريعة أم فهمها؟ نرجوا التوضيح حفظكم الله تعالى.**

فأجاب بقوله: على طالب العلم أن يبدأ شيئًا فشيئًا، فعليك أن تبدأ في الأصول والقواعد والضوابط وما أشبه ذلك من المختصرات مع المتون؛ لأن المختصرات سلم إلى المطولات، لكن لابد من معرفة الأصول والقواعد ومن لم يعرف الأصول حرم الوصول. وكثير من طلبة العلم تجده يحفظ مسائل كثيرة لكن ليس عنده أصل لو تأتيه مسألة واحدة شاذة عما كان يحفظه ما استطاع أن يعرف لها حلًا، لكن إذا عرف الضوابط والأصول استطاع أن يحكم

على كل مسألة جزئية من مسائله، ولهذا فأنا أحث إخواني على معرفة الأصول والضوابط والقواعد لما فيها من الفائدة العظيمة وهذا شيء جربناه وشاهدناه مع غيرنا على أن الأصول هي المهم، ومنها حفظ المختصرات، **وقد أراد بعض الناس أن يمكروا بنا فقالوا لنا: (إن الحفظ لا فائدة فيه، وإن المعنى هو الأصل)**.

ولكن الحمد لله أنه أنقذنا من هذه الفكرة وحفظنا ما شاء الله أن نحفظ من متون النحو وأصول الفقه والتوحيد، وعلى هذا فلا يستهان بالحفظ، فالحفظ هو الأصل، ولعل أحدًا منكم الآن يذكر عبارات قرأها من قبل مدة طويلة، فالحفظ مهم لطالب العلم حتى وإن كان فيه صعوبة، ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن نكون ممن اهتدوا بطريقة سلفنا الصالح وأن يجعلنا من الهداة المهتدين، إنه جواد كريم[1]. **اهـ**

واعلم أن الحفظ في أول الأمر قد يكون فيه شيء من الصعوبة لكنه يسهل مع الممارسة والتعود.

وقد قال أبو هلال العسكري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (ص: ٧١):

وَكَانَ الْحِفْظُ يَتَعَذَّرُ عَلَيَّ حِينَ ابْتَدَأْتُ أَرُومُهُ، ثُمَّ عَوَّدْتُهُ نَفْسِي، إِلَى أَنْ حَفِظْتُ قَصِيدَةَ رُؤْبَةَ (وَقَاتِمُ الأَعْمَاقِ خَاوِيَ الْمُخْتَرَقِ ...) فِي لَيْلَةٍ وَهِيَ قَرِيبٌ مِنْ مِائَتَيْ بَيْتٍ. **اهـ**

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٦/ ٢٠٥) .

وقال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله في اللآلئ البهية شرح الفواكه الجنية:

والحفظ مع الممارسة ينمو ويقوى، فكلما مارس الإنسان الحفظ قوي الحفظ في حقه كسائر القوى، فسائر القوى الموجودة في الإنسان تنمو بالتمرين وكثرة الممارسة، فإذا مارس الإنسان الحفظ وأكثر من ذلك أعانه الله وقويت حافظته. اهـ

واعلم أنه مع تكرار المحفوظ يحصل المقصود وهو ثبات المحفوظ . ومن أمثلة ذلك ما **ذكره الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تذكرة الحفاظ:** قال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: لو لم نكتب الحديث خمسين مرة ما عرفناه. اهـ

وما ذكره المزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١/ ٤٢٤) قال:

وبلغني أن رجلًا قال لأبي مسعود: إنا ننسى الحديث! فَقَالَ: أيكم يرجع فِي حفظ حديث واحد خمس مئة مرة؟ قَالُوا: ومن يقوى على هذا، قال: لذاك لا تحفظون. اهـ

ومن تأمل في أحوال العلماء وقوة حفظهم يجد أمرًا عجيبًا فقد أعطاهم الله قوة عجيبة في الحفظ، **وقد ذكر ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ** في كتابه الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ (ص: ٥٣) جملة من هؤلاء العلماء ومنهم:

١- **أحمد بن حنبل:** قال أَبَو زُرْعَةَ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَحْفَظُ أَلْفَ أَلْفِ حَدِيثٍ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ قَالَ: ذَاكَرْتُهُ، وَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الأَبْوَابَ.

وقال عَبْدَ اللهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: قَالَ لِي أَبِي: خُذْ أَيَّ كِتَابٍ شِئْتَ مِنْ كُتُبِ وَكِيعٍ، مِنَ الْمُصَنَّفِ، فَإِنْ شِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْكَلامِ، حَتَّى أُخْبِرَكَ بِالإِسْنَادِ، وَإِنْ شِئْتَ بِالإِسْنَادِ حَتَّى أُخْبِرَكَ بِالْكَلامِ.

٢- **إسحاق بن راهويه:** قال ابْنَ خَشْرَمٍ: كَانَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ يُمْلِي عَلَيَّ سَبْعِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ حِفْظًا.

٣- **سفيان الثوري:** قال يَحْيَى بْنُ يَمَانٍ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: مَا اسْتُودِعَتْ أُذُنِي شَيْئًا قَطُّ إِلا حَفِظْتُهُ، حَتَّى إِنِّي أَمُرُّ بِكَذَا -كَلِمَةً قَالَهَا- فَأَسُدُّ أُذُنِي مَخَافَةَ أَنْ أَحْفَظَهَا، وَيَقُولُ فِي رِوَايَةٍ: أَمُرُّ بِالْحَايِكِ يُغَنِّي فَأَسُدُّ أُذُنِي.

٤- **أبو زرعة:** قال أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ التُّسْتَرِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ: إِنَّ فِي بَيْتِي مَا كَتَبْتُهُ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً، وَلَمْ أُطَالِعْهُ مُنْذُ كَتَبْتُهُ، وَإِنِّي أَعْلَمُ فِي أَيِّ كِتَابٍ هُوَ، فِي أَيَّةِ وَرَقَةٍ هُوَ، فِي أَيِّ صَفْحٍ هُوَ، فِي أَيِّ سَطْرٍ هُوَ، وَمَا سَمِعَ أُذُنِي شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ إِلا وَعَاهُ قَلْبِي، فَإِنِّي كُنْتُ أَمْشِي فِي سُوقِ بَغْدَادَ فَأَسْمَعُ مِنَ الْغُرَفِ صَوْتَ الْمُغَنِّيَاتِ فَأَضَعُ أُصْبُعِي فِي أُذُنِي مَخَافَةَ أَنْ يَعِيَهُ قَلْبِي.

سُئِلَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ عَنْ رَجُلٍ حَلَفَ بِالطَّلاقِ: أَنَّ أَبَا زُرْعَةَ الرَّازِيَّ يَحْفَظُ مِائَتَيْ أَلْفَ حَدِيثٍ هَلْ حَنَثَ؟ فَقَالَ: لا.

ثُمَّ قَالَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ: أَحْفَظُ مِائَتَيْ أَلْفَ حَدِيثٍ، كَمَا يَحْفَظُ الإِنْسَانُ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَفِي الْمُذَاكَرَةِ ثَلاثُ مِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ.

٥- **الشَّعْبِيُّ**: قال: مَا كَتَبْتُ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ إِلا وَأَنَا أَحْفَظُهَا، وَلا حَدَّثَنِي رَجُلٌ بِحَدِيثٍ وَأَحْبَبْتُ أَنْ يُعِيدَهُ عَلَيَّ.

٦- **الدارقطني:** قال الأَزْهَرِيُّ: بَلَغَنِي أَنَّ الدَّارَقُطْنِيَّ، حَضَرَ فِي حَدَاثَتِهِ، مَجْلِسَ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارِ، فَجَعَلَ يَنْسَخُ جُزْءًا كَانَ مَعَهُ، وَإِسْمَاعِيلُ يُمْلِي، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: لا يَصِحُّ سَمَاعُكَ، وَأَنْتَ تَنْسَخُ، فَقَالَ الدَّرَاقُطْنِيُّ: فَهْمِي لِلإِمْلاءِ غَيْرُ فَهْمِكَ، ثُمَّ قَالَ: تَحْفَظُ كَمْ أَمْلَى الشَّيْخُ مِنْ حَدِيثٍ إِلَى الآنَ؟ قَالَ: لا، فَقَالَ أَمْلَى ثَمَانِيَةَ عَشَرَ حَدِيثًا، فَعَدَّدْتُ الأَحَادِيثَ، فَكَانَتْ كَمَا قَالَ، ثُمَّ قَالَ: الْحَدِيثُ الأَوَّلُ: عَنْ فُلانٍ عَنْ فُلانٍ، وَمَتْنُهُ كَذَا، وَالْحَدِيثُ الثَّانِي: عَنْ فُلانٍ عَنْ فُلانٍ، وَمَتْنُهُ كَذَا، وَلَمْ يَزَلْ يَذْكُرُ أَسَانِيدَ الأَحَادِيثِ، وَمُتُونَهَا، عَلَى تَرْتِيبِهَا فِي الإِمْلاءِ، حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْهُ.

٧- **قَتَادَةُ بْنُ دُعَامَةَ «أَبُو الْخَطَّابِ السَّدُوسِيّ»** وَسَأَلَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ فَأَكْثَرَ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ: أَكُلُّ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ تَحْفَظُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَأَلْتُكَ عَنْ كَذَا، فَقُلْتَ كَذَا، وَعَنْ كَذَا، فَقُلْتَ كَذَا وَعَنْ كَذَا، فَقُلْتَ كَذَا، فَقَالَ سَعِيدٌ: مَا ظَنَنْتُ أَنَّ اللهَ خَلَقَ مِثْلَكَ.

وَكَانَ يَقُولُ: مَا سَمِعَتْ أُذُنَايَ شَيْئًا قَطُّ إِلا وعَاهُ قَلْبِي.

٨- **مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيَّ،** قَدِمَ بَغْدَادَ، فَسَمِعَ بِهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، فَاجْتَمَعُوا وَعَمَدُوا إِلَى مِائَةِ حَدِيثٍ، فَقَلَبُوا مُتُونَهَا، وَأَسَانِيدَهَا، وَجَعَلُوا مَتْنَ هَذَا الإِسْنَادِ آخَرَ، وَإِسْنَادَ هَذَا الْمَتْنِ لِمَتْنٍ آخَرَ، وَدَفَعُوهَا إِلَى عَشَرَةِ أَنْفُسٍ، فَابْتَدَرَ رَجُلٌ مِنَ الْعَشَرَةِ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ مِنْ تِلْكَ الأَحَادِيثِ، فَقَالَ: لا أَعْرِفُهُ، فَسَأَلَهُ عَنْ آخَرَ، فَقَالَ: لا أَعْرِفُهُ، فَمَا زَالَ يُلْقِي عَلَيْهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْعَشَرَةِ، وَالْبُخَارِيُّ يَقُولُ: لا أَعْرِفُهُ، وَكَانَ بَعْضُ الْفُهَمَاءِ يَقُولُ: الرَّجُلُ فَهِمٌ، وَبَعْضُهُمْ يَقْضِي عَلَيْهِ بِالْعَجْزِ.

ثُمَّ ابْتَدَرَ رَجُلٌ آخَرُ، فَسَأَلَهُ عَنِ الأَحَادِيثِ، وَهُوَ يَقُولُ فِي كُلِّ حَدِيثٍ: لا أَعْرِفُهُ، حَتَّى فَرَغَ مِنْ عَشَرَةٍ، ثُمَّ الثَّالِثُ، ثُمَّ الرَّابِعُ، إِلَى تَمَامِ الْعَشَرَةِ، وَالْبُخَارِيُّ لا يَزِيدُهُمْ عَلَى لا أَعْرِفُهُ، فَلَمَّا فَرَغُوا، الْتَفَتَ إِلَى الأَوَّلِ، فَقَالَ: أَمَّا حَدِيثُكَ الأَوَّلُ، فَهُوَ كَذَا، وَحَدِيثُ الثَّانِي كَذَا، وَحَدِيثُ الثَّالِثُ كَذَا، وَالرَّابِعُ، حَتَّى أَتَى عَلَى تَمَامِ الْعَشَرَةِ، فَرَدَّ كُلَّ مَتْنٍ إِلَى إِسْنَادِهِ، وَكُلَّ إِسْنَادٍ إِلَى مَتْنِهِ، وَفَعَلَ بِالآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَقَرَّ لَهُ النَّاسُ بِالْحِفْظِ وَأَذْعَنُوا لَهُ بِالْفَضْلِ.

٩- **أبوبَكْرٍ الْجِعَابِيَّ**: قال: دَخَلْتُ الرَّقَّةَ وَكَانَ لِي ثَمَّ قِمَطْرَانِ كُتُبًا فَأَنْفَذْتُ غُلامِي إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي كُتُبِي عِنْدَهُ فَرَجَعَ الْغُلامُ مَغْمُومًا فَقَالَ: ضَاعَتِ الْكُتُبُ، فَقُلْتُ: يَا بُنَيَّ لا تَغْتَمَّ فَإِنَّ فِيهَا مِائَتَيْ أَلْفَ حَدِيثٍ لا يُشْكَلُ عَلَيَّ مِنْهَا حَدِيثٌ لا إِسْنَادًا وَلا مَتْنًا.

وختاما اعلم أن من أعظم الأسباب المعينة على حفظ العلم هو ترك المعاصي.

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تهذيب التهذيب (١١/ ١٢٩):

وقال علي بن خشرم: رأيت وكيعًا وما رأيت بيده كتابًا قط إنما هو يحفظ فسألته عن دواء الحفظ فقال ترك المعاصي ما جربت مثله للحفظ.

اهتمام طالب العلم بالقرآن الكريم

ينبغي على طالب العلم أن يهتم غاية الاهتمام بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ فهو أصل العلوم وأمها، فعليه أن يحرص على حفظ القرآن الكريم، وتلاوته، وتدبره، والعمل به.

وتأمل في كلام العلامة ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العلم (ص: ٣٤) حيث قال:

فإنه يجب على طالب العلم الحرص عليه قراءةً وحفظًا وفهمًا وعمَلًا به، فإن القرآن هو حبل الله المتين، وهو أساس العلوم، وقد كان السلف يحرصون عليه غاية الحرص فيذكر عنهم الشيء العجيب من حرصهم على القرآن، فتجد أحدهم حفظ القرآن وعمره سبع سنوات، وبعضهم حفظ القرآن في أقل من شهر،وفي هذا دلالة على حرص السلف رضوان الله عليهم على القرآن. **اهـ**

وقد حث نبينا ﷺ على تعلم القرآن وتعليمه فقد روى البخاري في صحيحه (٦/ ١٩٢)، (٥٠٢٧):

عن عثمان -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

وروى البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٤) (٦٤٩٧):

عن حذيفة، قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا: «**أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة**».

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري (١٣/ ٣٩):

قوله: ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة كذا في هذه الرواية بإعادة ثم وفيه إشارة إلى أنهم كانوا يتعلمون القرآن قبل أن يتعلموا السنن والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي ﷺ وَاجِبًا كان أو مندوبا. اهـ

وروى ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة الصفوة (١/ ٤٣٦):

عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته.

وقال ابن جماعة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تذكرة السامع والمتكلم:

"يبتدئ أولًا بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ فيتقنه حفظًا، ويجتهد على إتقان تفسيره وسائر علومه، فإنه أصل العلوم وأمها وأهمها".

وقال ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٣٠):

«الْقُرْآنُ أَصْلُ الْعِلْمِ فَمَنْ حَفِظَهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ ثُمَّ فَرَغَ إِلَى مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى فَهْمِهِ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ كَانَ ذَلِكَ لَهُ عَوْنًا كَبِيرًا عَلَى مُرَادِهِ مِنْهُ».

وقال أيضًا في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٢٩):

طَلَبُ الْعِلْمِ دَرَجَاتٌ وَمَنَاقِلُ وَرُتَبٌ لَا يَنْبَغِي تَعَدِّيهَا وَمَنْ تَعَدَّاهَا جُمْلَةً فَقَدْ تَعَدَّى سَبِيلَ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللهُ وَمَنْ تَعَدَّى سَبِيلَهُمْ عَامِدًا ضَلَّ، وَمَنْ تَعَدَّاهُ مُجْتَهِدًا زَلَّ **فَأَوَّلُ الْعِلْمِ حِفْظُ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَتَفَهُّمُهُ** وَكُلُّ مَا يُعِينُ عَلَى فَهْمِهِ فَوَاجِبٌ طَلَبُهُ مَعَهُ وَلَا أَقُولُ: إِنَّ حِفْظَهُ كُلَّهُ فَرْضٌ وَلَكِنِّي أَقُولُ: إِنَّ ذَلِكَ شَرْطٌ لَازِمٌ عَلَى مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا فَقِيهًا نَاصِبًا نَفْسَهُ لِلْعِلْمِ لَيْسَ مِنْ بَابِ الْفَرْضِ".

وقال الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٠٦):

يَنْبَغِي لِلطَّالِبِ أَنْ يَبْدَأَ بِحِفْظِ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، إِذْ كَانَ أَجَلَّ الْعُلُومِ وَأَوْلَاهَا بِالسَّبْقِ وَالتَّقْدِيمِ.

وقال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجموع شرح المهذب (١/ ٣٨):

وأول ما يبتدئ به حفظ القرآن العزيز فهو أهم العلوم وكان السلف لا يعلمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن وإذا حفظه فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالا يؤدي إلى نسيان شئ منه أو تعريضه للنسيان.

وقال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صيد الخاطر (ص: ١٨٣) (٥٤٤):

فإذا علم العاقل أن العمر قصير، وأن العلم كثير، فقبيح بالعاقل الطالب لكمال الفضائل أن يتشاغل مثلًا بسماع الحديث ونسخه، ليحصل كل طريق، وكل رواية، وكل غريب، وهذا لا يفرغ من مقصوده منه في خمسين سنة، خصوصًا إن تشاغل بالنسخ، **ثم لا يحفظ القرآن**، أو يتشاغل بعلوم القرآن، ولا يعرف الحديث، أو بالخلاف في الفقه، ولا يعرف النقل الذي عليه مدار المسألة.

وروى الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٠٨):

عن الْوَلِيد، يَعْنِي ابْنَ مُسْلِمٍ، قَالَ: " كُنَّا إِذَا جَالَسْنَا الْأَوْزَاعِيَّ فَرَأَى فِينَا حَدَثًا، قَالَ: "يَا غُلَامُ، قَرَأْتَ الْقُرْآنَ؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اقْرَأْ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء: ١١] وَإِنْ قَالَ: لَا، قَالَ: اذْهَبْ، تَعَلَّمِ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُبَ الْعِلْمَ)

وروى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٨/ ٩٣):

عن أَبِي العَيْنَاءِ قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بنَ دَاوُدَ فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: الحَدِيْثُ قَالَ: اذْهَبْ فَتَحَفَّظِ القُرْآنَ. قُلْتُ: قَدْ حَفِظْتُ القُرْآنَ قَالَ: اقْرَأْ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [يُوْنُسُ: ٧١] . فَقَرَأْتُ العشْرَ حَتَّى أَنْفَذْتُهُ.

وقال ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٣٣):

قَالَ الْمَيْمُونِيُّ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله أَيُّهُمَا أَحَبُّ إلَيْك أَبْدَأُ ابْنِي بِالْقُرْآنِ أَوْ بِالْحَدِيثِ قَالَ: لَا بِالْقُرْآنِ قُلْتُ: أُعَلِّمُهُ كُلَّهُ قَالَ: إلَّا أَنْ يَعْسُرَ فَتُعَلِّمَهُ مِنْهُ. ثُمَّ قَالَ لِي: إذَا قَرَأَ أَوَّلًا تَعَوَّدَ الْقِرَاءَةَ ثُمَّ لَزِمَهَا وَعَلَى هَذَا أَتْبَاعُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ إلَى زَمَنِنَا هَذَا.

وقال: وَسَيَأْتِي قَرِيبًا قَوْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ إنَّ الْعِلْمَ يُقَدَّمُ عَلَى نَفْلِ الْقُرْآنِ وَهَذَا مُتَعَيِّنٌ إذَا كَانَ مُكَلَّفًا لِأَنَّهُ فَرْضٌ فَيُقَدَّمُ عَلَى النَّفْلِ وَكَلَامُ أَحْمَدَ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ إنَّمَا هُوَ فِي الصَّغِيرِ كَمَا هُوَ ظَاهِرُ السِّيَاقِ وَالَّذِي سَأَلَ ابْنَ الْمُبَارَكِ كَانَ رَجُلًا فَلَا تَعَارُضَ، وَأَمَّا الصَّغِيرُ فَيُقَدِّمُ حِفْظَ الْقُرْآنِ لِمَا ذَكَرَهُ أَحْمَدُ مِنْ الْمَعْنَى. وَلِأَنَّهُ عِبَادَةٌ يُمْكِنُ إدْرَاكُهَا وَالْفَرَاغُ مِنْهَا فِي الصِّغَرِ غَالِبًا، وَالْعِلْمُ عِبَادَةُ الْعُمُرِ لَا يُفْرَغُ مِنْهُ فَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا حَسَبَ الْإِمْكَانِ، وَهَذَا وَاضِحٌ وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ

أَوْلَى لِمَسِيسِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ لِصُعُوبَتِهِ وَقِلَّةِ مَنْ يَعْتَنِي بِهِ بِخِلَافِ الْقُرْآنِ وَلِهَذَا يُقَصِّرُ فِي الْعِلْمِ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ طَلَبُهُ وَلَا يُقَصِّرُ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ حَتَّى يَشْتَغِلَ بِحِفْظِهِ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ الِاشْتِغَالُ فِي الْعِلْمِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي الْعُرْفِ وَالْعَادَةِ.

وقال: وَسَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَجْعَلُ فَضْلَ يَوْمِي فِي تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ أَوْ فِي تَعَلُّمِ الْعِلْمِ؟ فَقَالَ هَلْ تُحْسِنُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا تَقُومُ بِهِ صَلَاتُك: قَالَ نَعَمْ قَالَ: **عَلَيْك بِالْعِلْمِ. اهـ**

وقد سئل شيخ الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيما طلب القرآن أو العلم أفضل؟ .

فأجاب: أما العلم الذي يجب على الإنسان عينًا كعلم ما أمر الله به وما نهى الله عنه فهو مقدم على حفظ ما لا يجب من القرآن فإن طلب العلم الأول واجب وطلب الثاني مستحب والواجب مقدم على المستحب. وأما طلب حفظ القرآن: فهو مقدم على كثير مما تسميه الناس علمًا: وهو إما باطل أو قليل النفع. وهو أيضًا مقدم في التعلم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن فإنه أصل علوم الدين بخلاف ما يفعله كثير من أهل البدع من الأعاجم وغيرهم حيث يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم من الكلام أو الجدال والخلاف أو الفروع النادرة أو التقليد الذي لا يحتاج إليه أو غرائب الحديث التي لا تثبت ولا ينتفع بها وكثير من الرياضيات التي لا تقوم عليها حجة ويترك حفظ القرآن الذي هو أهم من ذلك كله فلا بد في مثل هذه المسألة من التفصيل. والمطلوب

من القرآن هو فهم معانيه والعمل به فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين والله سبحانه أعلم[١]. اهـ

قال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله في شرح الفواكه الجنية[٢]:

حفظ القرآن ليس من واجبات الأعيان، وتعلم التوحيد والعقيدة الصحيحة وتعلم الطهارة والصلاة و... مما يجب تعلمه.

فائدة: قال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله تعالى[٣]:

الصحابة كانوا يحفظون القرآن ويعلمون معناه ويعملون به، والخوارج اهتموا بحفظ القرآن حتى كان يقال لهم القراء، لكن بدون فهم ولا عمل.

وقال في اللآلئ البهية شرح الفواكه الجنية:

والحفظ من غير فهم واتباع قد يكون فتنة لصاحبه كما حصل للخوارج.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٥٤).

(٢) في الدروس التي ألقاها في مدينة القاعدة.

(٣) نفس المصدر السابق.

طالب العلم والفهم

تعتبر مسألة الفهم من الأمور المهمة التي ينبغي لطالب العلم أن يحرص عليها، ويهتم بها؛ فلا يتم العلم إلا بالفهم؛ فبه يتبين لطالب العلم معاني القرآن والسنة، وبه تستنبط أحكامهما.

وللعلامة ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام جميل حول مسألة الفهم في كتاب العلم (ص: ٤٠) حيث قال:

من الأمور المهمة في طلب العلم قضية الفهم، أي فهم مراد الله -عَزَّوَجَلَّ- ومراد رسوله ﷺ؛ لأن كثيرًا من الناس أوتوا علمًا ولكن لم يؤتوا فهمًا. لا يكفي أن تحفظ كتاب الله وما تيسر من سنة رسول الله ﷺ بدون فهم. لا بد أن تفهم عن الله ورسوله ما أراده الله ورسوله، وما أكثر الخلل من قوم استدلوا بالنصوص على غير مراد الله ورسوله فحصل بذلك الضلال وهنا أنبّه على نقطة مهمة ألا وهي: أن الخطأ في الفهم قد يكون أشد خطرًا[1] بالجهل؛ لأن الجاهل الذي يخطئ بجهله يعرف أنه جاهل ويتعلم، لكن الذي فهم خطًا يعتقد في نفسه أنه عالم مصيب، ويعتقد أن هذا هو مراد الله ورسوله. اهـ

وقد أمتن الله عَزَّوَجَلَّ على نبيه سليمان بنعمة الفهم **فقال الله تعالى:** ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

---

(١) لعله حصل سقط، ولعل تصحيح العبارة (قد يكون أشد خطرًا من الخطأ بالجهل).

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب العلم (ص: ٤١):

فقد فضَّل الله عَزَّوَجَلَّ سليمان على داود في هذه القضية بالفهم ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ﴾ ولكن ليس هناك نقص في علم داود ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ وانظر إلى هذه الآية الكريمة لما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ما امتاز به سليمان من الفهم، فإنه ذكر أيضًا ميزة داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ . وذلك حتى يتعادل كل منهما، فذكر الله تعالى ما اشتركا فيه من الحكم والعلم ثم ذكر ما امتاز به كل واحد منهما عن الآخر. وهذا يدلنا على أهمية الفهم، وأن العلم ليس كل شيء. **اهـ**

وبوب البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب العلم ((باب الفهم في العلم)) حديث رقم (٧٢) فقال:

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، قال: قال لي ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمعه يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثا واحدًا، قال: كنا عند النبي ﷺ فأتي بجمار، فقال: «**إن من الشجر شجرة، مثلها كمثل المسلم**»، فأردت أن أقول: هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم، فسكت، قال النبي ﷺ: «**هي النخلة**».

قال ابن بطال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح صحيح البخاري (١/ ١٥٧):

التفهم للعلم هو التفقه فيه، ولا يتم العلم إلا بالفهم، وكذلك قال على: والله ما عندنا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مؤمن. فجعل الفهم درجة أخرى بعد حفظ كتاب الله، لأن بالفهم له تبين معانيه وأحكامه. وقد نفي (ﷺ) العلم عمن لا فهم له بقوله: رب حامل فقه لا فقه له

وقال مالك:

ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نور يضعه الله في القلوب، يعنى بذلك فهم معانيه واستنباطه. فمن أراد التفهم فليحضر خاطره، ويفرغ ذهنه، وينظر إلى نشاط الكلام، ومخرج الخطاب، ويتدبر اتصاله بما قبله، وانفصاله منه، ثم يسأل ربه أن يلهمه إلى إصابة المعنى، ولا يتم ذلك إلا لمن علم كلام العرب، ووقف على أغراضها في تخاطبها وأيد بجودة قريحة، وثاقب ذهن، ألا ترى أن عبد الله بن عمر فهم من نشاط الحديث في نفس القصة أن الشجرة هى النخلة، لسؤاله ﷺ لهم عنها حين أتى بالجمار، وقوى ذلك عنده بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤].**اهـ**

وروى البخاري في صحيحه (٣٠٤٧):

عن أبي جحيفة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-، قال: قلت لعلي -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «**لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فَهْمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن، وما في هذه الصحيفة**»، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: «**العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر**».

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٦٩) وللعلم ست مراتب:

أولها: حسن السؤال، **الثانية**: حسن الانصات، والاستماع **الثالثة**، حسن الفهم **الرابعة**، الحفظ **الخامسة**، التعليم **السادسة** وهي ثمرته وهي العمل به ومراعاة حدوده.

وروى البيهقي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شعب الإيمان (٣/ ٢٨٤):

عن سفيان بن عيينة قال: "أول العلم الاستماع، **ثم الفهم**، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر".

وقال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٤٤٧):

والعلم له مبدأ، وهو: قوة العقل الذي هو الفهم والحفظ، وتمام، وهو: قوة المنطق، الذي هو البيان والعبارة.

وقال الذهبي رحمه في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٠٤):

قَالَ الحَاكِمُ: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ الحَافِظَ يَقُوْلُ: لَمْ يَكُنْ بِالعِرَاقِ فِي أَقرَانِ أَبِي مُحَمَّدٍ بنِ صَاعِدٍ أَحَدٌ فِي فَهْمِهِ، وَالفَهْمُ عِنْدَنَا أَجَلُّ مِنَ الحِفْظِ.

وقال ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠١٣):

"الَّذِي عَلَيْهِ جَمَاعَةُ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَائِهِمْ ذَمُّ الْإِكْثَارِ دُونَ تَفَقُّهٍ وَلَا تَدَبُّرٍ، وَالْمُكْثِرَ لَا يَأْمَنُ مُوَاقَعَةَ الْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِرِوَايَتِهِ عَمَّنْ يُؤْمَنُ وَعَمَّنْ لَا يُؤْمَنْ".

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٥٩):

وإلا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سمع كما سمعوا، وحفظ القرآن كما حفظوا ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها للزرع فبذر فيها النصوص فأنبتت من كل زوج كريم ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤﴾ وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره؟

وأبو هريرة أحفظ منه بل هو حافظ الأمة على الإطلاق، يؤدي الحديث كما سمعه، ويدرسه بالليل درسًا فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وبلغ ما حفظه كما سمعه، وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه والاستنباط، وتفجير النصوص، وشق الأنهار منها، واستخراج كنوزها.

تعاهد العلم والمحفوظ

مما ينبغي على طالب العلم أن يتعاهد علمه ومحفوظاته، وذلك عن طريق المذاكرة، والتكرار؛ وإلا فإنه ينسى ويتفلت، وقد قيل حياة العلم مذاكرته.

وقد بوب الإمام البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه باب استذكار القرآن وتعاهده وذكر حديثا برقم (٥٠٣١):

عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما مثل صاحب القرآن، كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت**».

وروى الإمام مسلم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (٢٢٦- (٧٨٩)):

عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت**».

قال ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٤/ ١٣٣):

وفي هذا الحديث دليل على أن من لم يتعاهد علمه ذهب عنه أي من كان؛ لأن علمهم كان ذلك الوقت القرآن لا غير، وإذا كان القرآن الميسر للذكر يذهب إن لم يتعاهد فما ظنك بغيره من العلوم المعهودة. اهـ

وقال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري لابن حجر (٩/ ٧٩):

شبه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الشراد، فما زال التعاهد موجودًا فالحفظ موجودو كما أن البعير ما دام مشدودا بالعقال فهو محفوظ. اهـ

وروى البخاري في صحيحه (٥٠٣٣):

عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «**تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها**».

وروى مسلم في صحيحه (٢٣١-(٧٩١)):

عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، قال: «**تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها**».

وروى الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٢٣٦): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أنه قَالَ: «**كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ، فَإِذَا قُمْنَا تَذَاكَرْنَاهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَتَّى نَحْفَظَهُ**».

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، أَنَّهُ قَالَ: «**إِحْيَاءُ الْحَدِيثِ مُذَاكَرَتُهُ، فَتَذَاكَرُوا**».

وعن إِبْرَاهِيمَ الْأَصْبَهَانِيَّ، أنه قال: «**كُلُّ مَنْ حَفِظَ حَدِيثًا فَلَمْ يُذَاكِرْ بِهِ تَفَلَّتَ مِنْهُ**».

وعن الْخَلِيل بْن أَحْمَدَ قال: «**ذَاكِرْ بِعِلْمِكَ تَذْكُرْمَا عِنْدَكَ وَتَسْتَفِدْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ**».

وقال الخطيب: وَإِذَا لَمْ يَجِدِ الطَّالِبُ مَنْ يُذَاكِرُهُ أَدَامَ ذِكْرَ الْحَدِيثِ مَعَ نَفْسِهِ وَكَرَّرَهُ عَلَى قَلْبِهِ. **(انتهى)**

وقال ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٢٠):

وَرُوِيَ عَنْ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَرْجِعُ إلَى مَنْزِلِهِ وَقَدْ سَمِعَ حَدِيثًا كَثِيرًا، فَيُعِيدُهُ عَلَى جَارِيَةٍ لَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إلَى آخِرِهِ كَمَا سَمِعَهُ وَيَقُولُ لَهَا: إنَّمَا أَرَدْت أَنْ أَحْفَظَهُ وَكَانَ غَيْرُهُ يُعِيدُهُ عَلَى صِبْيَانِ الْمَكْتَبِ لِيَحْفَظَهُ. **وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ الزُّهْرِيِّ:** آفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيَانُ وَقِلَّةُ الْمُذَاكَرَةِ. اهـ

قال شيخنا أبو بكر حفظه الله:

ومن مذاكرة العلم تدريسه فإنه من أعظم أسباب حفظه وعدم نسيانه.

قال الشاعر:

من حاز العلم وذاكره ... صلحت دنياه وآخرته

فأدم للعلم مذاكرة ... فحياة العلم مذاكرته

الاجتهاد في طلب العلم والحرص عليه والصبر في طلبه

يجب على طالب العلم أن يجتهد في طلب العلم، وأن يحرص على التعليم، ويصبر نفسه على ذلك؛ فإن العلم يحتاج إلى شيء من التعب والصبر وهجر اللذات.

وقد قال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجموع شرح المهذب (١/ ٣٧):

وينبغي أن يكون حريصًا على التعليم، مواظبا عليه في جميع أوقاته، ليلًا ونهارا حضرا وسفرا، ولا يذهب من أوقاته شيئًا في غير العلم إلا بقدر الضرورة لأكل ونوم قَدْرًا لا بد منه ونحوهما كاستراحة يسيرة لإزالة الملل وشبه ذلك من الضروريات، وليس بعاقل من أمكنه درجة ورثة الأنبياء ثم فوتها. اهـ

وقال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صيد الخاطر (ص: ٢٨١):

فإن العلم لما كان أشرف الأشياء، لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار، وهجر اللذات والراحة، حتى قال بعض الفقهاء: بقيت سنين أشتهي الهريسة لا أقدر؛ لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس! **اهـ**

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٤٢):

ولا ينال العلم إلا بهجر اللذات وتطليق الراحة، قال مسلم في صحيحه: قال يحيى بن أبي كثير: لا ينال العلم براحة الجسم. وقال إبراهيم الحربي: أجمع عقلاء كل أمة أن النعيم لا يدرك بالنعم، ومن آثر الراحة فاتته الراحة، فما لصاحب اللذات وما لدرجة وراثة الانبياء. اهـ

قال عَبْدُ اللهِ بنُ يَحْيَى بنِ أَبِي كَثِيْر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: لاَ يُسْتَطَاعُ العِلْمُ بِرَاحَةِ الجَسَدِ[1]. اهـ

وانظر إلى حرص الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على طلب العلم وصبرهم على ذلك.

فقد روى البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (٣/ ٥٢) (٢٠٤٧):

عن أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أنه قال:** إنكم تقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، وتقولون ما بال المهاجرين، والأنصار لا يحدثون عن رسول الله ﷺ، بمثل حديث أبي هريرة، وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم، وكنت امْرأً مِسْكِينًا من مساكين الصفة، أعي حين ينسون، وقد قال: رسول الله ﷺ في حديث يحدثه: «**إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمع إليه ثوبه، إلا وعى ما أقول**»، فبسطت نمرة علي، حتى إذا قضى رسول الله ﷺ مقالته جمعتها إلى صدري، فما نسيت من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء.

وروى أيضًا في صحيحه (٩/ ١٠٤) (٧٣٢٤):

عن أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن قال: «**لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مغشيا علي، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي، ويرى أني مجنون، وما بي من جنون ما بي إلا الجوع**».

---

(١) صحيح مسلم [١٧٥ - (٦١٤)]، [سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٩)].

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري (١٣/ ٣٠٧):

والغرض منه قوله وإني لأخر ما بين المنبر والحجرة هو مكان القبر الشريف وقال ابن بطال عن المهلب وجه دخوله في الترجمة الإشارة إلى أنه لما صبر على الشدة التي أشار إليها من أجل ملازمة النبي ﷺ في طلب العلم جوزي بما انفرد به من كثرة محفوظه ومنقوله من الأحكام وغيرها وذلك ببركة صبره على المدينة. **اهـ**

وقال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله تعالى بعد ذكره لهذين الحديثين وغيرهما[1]:

بمثل هذا الصبر والتحمل للمشاق من أجل تلقي العلم من رسول الله ﷺ استطاع -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن ينال من العلم الشيء الكثير في زمن قصير ما يقارب أربع سنوات ف-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه كم انتفعت الأمة الإسلامية بصبره وتحمله من الخير الكثير والعلم الغزير. اهـ

وروي البخاري في صحيحه برقم (٨٩):

عن عمر، قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فضرب بابي ضرْبًا شديدًا، فقال: أثم هو؟ ففزعت فخرجت إليه، فقال: قد حدث أمر عظيم. قال: فدخلت على حفصة فإذا هي

---

(١) توجيه السهام إلى كبد الجنيد الطاعن في أبي هريرة راوية الإسلام.

تبكي، فقلت: طلقكن رسول الله ﷺ؟ قالت: لا أدري، ثم دخلت على النبي ﷺ فقلت وأنا قائم: أطلقت نساءك؟ قال: «لا» فقلت: الله أكبر.

وروى ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع بيان العلم وفضله (٥٠٧) (١/ ٣٦٥):

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا شَابٌّ، قُلْتُ لِشَابٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا فُلَانُ هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلْنَتَعَلَّمْ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَثِيرٌ، قَالَ: الْعَجَبُ لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَتَرَى أَنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ وَفِي الْأَرْضِ مِنْ تَرَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: فَتَرَكْتُ ذَلِكَ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ وَتَتَبُّعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِنْ كُنْتُ لَآتِي الرَّجُلَ فِي الْحَدِيثِ يَبْلُغُنِي أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَجِدُهُ قَائِلًا فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ تُسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى يَخْرُجَ، فَإِذَا خَرَجَ قَالَ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَكَ؟ فَأَقُولُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَهَلَّا بَعَثْتَ إِلَيَّ حَتَّى آتِيَكَ، فَأَقُولُ: أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ فَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ بَعْدَ ذَلِكَ يَرَانِي وَقَدْ ذَهَبَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاحْتَاجَ إِلَيَّ النَّاسُ فَيَقُولُ: كُنْتَ أَعْقَلَ مِنِّي". اهـ

وهكذا حرص العلماء على العلم وصبروا من أجل تعلمه وبذلوا في ذلك ما بذلوا، **فقد روى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تذكرة الحفاظ (١/ ٦٤):**

عن بن المديني قال: قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله؟ قال بنفي الاعتماد والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب.

وروى أيضًا في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٨٩):

عن أَبُي مَسْعُوْدٍ عَبْدُ الرَّحِيْمِ الحَاجِي قال: سَمِعْتُ ابْنَ طَاهِر يَقُوْلُ: بُلْتُ الدَّم فِي طَلَبِ الحَدِيْثِ مرَّتين، مرَّة بِبَغْدَادَ، وَأُخْرَى بِمَكَّةَ، كُنْتُ أَمْشِي حَافِيًا فِي الحرِّ، فَلحقنِي ذَلِكَ، وَمَا رَكبتُ دَابَّة قَطُّ فِي طَلَبِ الحَدِيْثِ، وَكُنْت أَحْمِلُ كُتُبِي عَلَى ظهرِي، وَمَا سَأَلتُ فِي حَال الطَّلَب أَحَدًا، كُنْت أَعيشُ عَلَى مَا يَأْتِي.

وروى ابن أبي حاتم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجرح والتعديل (١/ ٣٦٣):

باب ما لقي أبي من المقاساة في طلب العلم من الشدة،، قال سمعت أبي يقول: بقيت بالبصرة في سنة أربع عشرة ومائتين ثمانية أشهر، وكان في نفسي أن أقيم سنة، فانقطع نفقتي فجعلت أبيع ثياب بدني شيئًا بعد شيء حتى بقيت بلا نفقة، ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة، وأسمع منهم إلى المساء، فانصرف رفيقي ورجعت إلى بيت خال فجعلت أشرب الماء، الجوع ثم أصبحت من الغد وغدا على رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد، فانصرف عني وانصرفت جَائِعًا، فلما كان من الغد غدا على فقال مر بنا إلى المشايخ، قلت: أنا ضعيف لا يمكنني قال ما ضعفك؟ قلت: لا أكتمك أمري قد مضى يومان ما طعمت فيهما شيئًا، فقال لي قد بقي معي دينار فأنا أواسيك بنصفه ونجعل النصف الآخر في الكراء، فخرجنا من البصرة وقبضت منه النصف دينار.

وروى أيضًا في الجرح والتعديل (١/ ٣٦٤):

قال سمعت أبي يقول: كنا في البحر فاحتلمت فأصبحت وأخبرت أصحابي به فقالوا لي: أغمس نفسك في البحر، قلت: إني لا أحسن أن أسبح، فقالوا: أنا

نشد فيك حبلًا ونعلقك من الماء، فشدوا في حبلًا وأرسلوني في الماء وأنا في الهواء أريد إسباغ الوضوء فلما توضأت قلت لهم أرسلوني قليلًا فأرسلوني فغمست نفسي في الماء قلت ارفعوني فرفعوني.

وقال صالح جزرة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت هشام بن عمار يقول: دخلت على مالك، فقلت: حدثني، فقال: اقرأ فقلت: لا بل حدثني، فقال: اقرأ فلما راددته قال للغلام: اضربه، فضربني خمس عشرة درة، فقلت: ظلمتني لا أجعلك في حل. فقال: ما كفارته؟ قلت: أن تحدثني بخمسة عشر حديثا، فحدثني فقلت: زد من الضرب، وزد في الحديث فضحك، وقال: اذهب[1].

وقال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البداية والنهاية (١١/ ٣١):

وَقَدْ كَانَ الْبُخَارِيُّ يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيوقد السِّرَاجَ وَيَكْتُبُ الْفَائِدَةَ تَمُرُّ بِخَاطِرِهِ ثُمَّ يُطْفِئُ سراجه، ثم يقوم مرة أخرى وأخرى حتى كان يتعدد منه ذلك قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً.

وروى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٨):

عن مُحَمَّدُ بنُ أَبِي حَاتِمٍ قال: سَمِعْتُ البُخَارِيَّ يَقُوْلُ: خَرَجتُ إِلَى آدَمَ بنِ أَبِي إِيَاسٍ، فَتخلَّفَتْ عَنِّي نَفَقَتِي، حَتَّى جَعَلتُ أَتَناولُ الحشيشَ، وَلاَ أُخْبِرْ بِذَلِكَ أَحَدًا فَلَمَّا كَانَ اليَوْمُ الثَّالِثُ أَتَانِي آتٍ لَمْ أَعرِفْهُ فَنَاولَنِي صُرَّةَ دَنَانِيْر، وَقَالَ: أَنْفِقْ عَلَى نَفْسِكَ.

---

(١) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي (٧٤٨).

وروى أيضًا في السير (١٠/ ١٠٨):

عن غُنْجَار قالٌ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيْمُ بنُ حمدٍ المُلاَحِمِيُّ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ صَابرِ بنِ كَاتِبٍ سَمِعْتُ عُمَرَ بنَ حَفْصٍ الأَشْقَرُ قَالَ: كُنَّا مَعَ البُخَارِيِّ بِالبَصْرَةِ نكتبُ فَفَقدنَاهُ أَيَّامًا ثُمَّ، وَجدنَاهُ فِي بَيْتٍ، وَهُوَ عُرِيَانٌ وَقَدْ نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَجَمَعنَا لَهُ الدَّرَاهِمَ، وَكسونَاهُ.

وذكر الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تذكرة الحفاظ (٣/ ٣٥):

أن ابن أبي حاتم قال: كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة، نهارنا ندور على الشيوخ وبالليل ننسخ ونقابل، فأتينا يومًا أنا ورفيق لي شيخًا فقالوا: هو عليل؛ فرأيت سمكا أعجبنا فاشتريناه فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ، فمضينا فلم يزل السمك ثلاثة أيام وكاد أن ينضى فأكلناه نيًا لم نتفرغ نشويه؛ ثم قال: لا يستطاع العلم براحة الجسد.

وروى أبو نعيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٣٢٦):

عن عكرمة، قال: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل، ويعلمني القرآن والسنن".

روى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٠):

عن ابْن عُيَيْنَةَ قال: سَمِعْتُ شُعْبَةَ يَقُوْلُ: مَنْ طَلَبَ الحَدِيْثَ أَفْلَسَ، بِعْتُ طَسْتَ أُمِّي بِسَبْعَةِ دَنَانِيْر.

وروى ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤١٠):

عن مَالِكٌ قال: "إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَنْ يُنَالَ حَتَّى يُذَاقَ فِيهِ طَعْمُ الْفَقْرِ، وَذَكَرَ مَا نَزَلَ بِرَبِيعَةَ مِنَ الْفَقْرِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى بَاعَ خَشَبَ سَقْفِ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَحَتَّى كَانَ يَأْكُلُ مَا يُلْقَى عَلَى مَزَابِلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الزَّبِيبِ وَعُصَارَةِ التَّمْرِ".

وقال الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العلل ومعرفة الرجال رواية ابنه عبد الله (٢/ ٣٤٢):

أقام شعبة على الحكم بن عتيبة ثمانية عشر شهرًا حتى باع جذوع بيته.

عدم الاستعجال في أخذ العلم

ينبغي على طالب العلم ألا يستعجل في أخذ العلم بمعنى: أنه يريد أن يأخذ العلم جملة واحدة في وقت يسير، بل لا بد أن يأخذ العلم شيئًا فشَيْئًا، ومع الليالي والأيام سيجد أنه قد حاز علمًا كثيرًا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ. وقد أخبرنا ربنا عَزَّوَجَلَّ أنه أنزل كتابه مفرقًا؛ ليقرأ على الناس على مكث أي: على تطاول في المدة شيئًا بعد شيء كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

قال القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ مبالغة وتأكيد بالمصدر للمعنى المتقدم، أي أنزلناه نجمًا بعد نجم، ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا. اهـ

قال الشوكاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح القدير (٣/ ٣١٣):

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ الْعِلَّةَ لِقَوْلِهِ: فَرَقْنَاهُ، فَقَالَ: لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ أَيْ: عَلَى تَطَاوُلٍ فِي الْمُدَّةِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ عَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُولَى، أَوْ أَنْزَلْنَاهُ آيَةً آيَةً، وَسُورَةً سُورَةً. وَمَعْنَاهُ عَلَى الْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى مُكْثٍ، أَيْ: عَلَى تَرَسُّلٍ وَتَمَهُّلٍ فِي التِّلَاوَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَى الْفَهْمِ وَأَسْهَلُ لِلْحِفْظِ. وَقَدِ اتَّفَقَ الْقُرَّاءُ عَلَى ضَمِّ الْمِيمِ فِي مُكْثٍ إِلَّا ابْنَ مُحَيْصِنٍ فَإِنَّهُ قَرَأَ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا التَّأْكِيدُ بِالْمَصْدَرِ لِلْمُبَالَغَةِ، وَالْمَعْنَى: أَنْزَلْنَاهُ مُنَجَّمًا مُفَرَّقًا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، وَلَوْ أَخَذُوا بِجَمِيعِ الْفَرَائِضِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ لَنَفَرُوا وَلَمْ يَطِيقُوا. اهـ

ولقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يأخذون القرآن من النبي ﷺ شيئًا فشيئًا؛ كما روى **الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللَّهُ في مسنده (٢٣٤٨٢) (٣٨/ ٤٦٦) قال:** حدثنا محمد بن فضيل، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم كانوا: "يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات "، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل. اهـ

وهكذا يوصي أهل العلم في أخذ العلم شيئًا فشَيْئًا، **فقد روى ابن عبد البر -رَحِمَهُ اللَّهُ في جامع بيان العلم وفضله (٦٢٥) (١/ ٤٣١)**:

عن يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ شِهَابٍ، يَا يُونُسُ، «**لَا تُكَابِرِ الْعِلْمَ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ أَوْدِيَةٌ، فَأَيُّهَا أَخَذْتَ فِيهِ قَطَعَ بِكَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَهُ وَلَكِنْ خُذْهُ مَعَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي، وَلَا تَأْخُذِ الْعِلْمَ جُمْلَةً؛ فَإِنَّ مَنْ رَامَ أَخْذَهُ جُمْلَةً ذَهَبَ عَنْهُ جُمْلَةً وَلَكِنِ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ مَعَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ**». اهـ

وقال قتادة -رَحِمَهُ اللَّهُ: من طلب العلم جملة ذهب منه جملة، إنما كنا نطلب العلم حديثا وحديثين[(١)].

قال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله في اللآلئ البهية شرح الفواكه الجنية: وهذا قوله لا لضعف حفظهم؛ لكن من أجل أن يرسخ العلم في قلوبهم، فإن هؤلاء هم حفاظ الإسلام. **اهـ**

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٣/ ٥١٢).

وقال الزهري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن هذا العلم إن أخذته بالمكابرة غلبك ولم تظفر منه بشيء، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذًا رفيقًا تظفر به[١].

وقد قال محمد بن إبراهيم النحاس:

اليـــوم شـــيء وغـــدا مثلـــه ... مـــن نخـــب العلـــم التـــي تلـــتقط

يحصـــل المـــرء بهـــا حكمـــة ... وإنمـــا الســـيل اجتمـــاع الـــنقط

(١) البداية والنهاية (٩/ ٣٧٧).

تعليم العلم ونشره وعدم كتمانه

على المسلم أن يحرص على تعلم العلم، وعلى تعليمه ونشره؛ فإن في نشره نشرا لدين الله، وَحِفْظًا لشريعة الله، وإزالة الجهل عن عباد الله، فيحصل بذلك النفع العظيم للإسلام والمسلمين. وقد أخبرنا النبي ﷺ أن الله عَزَّوَجَلَّ أمره أن يعلم الأمة ما جهلت.

فقد أخرج مسلم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (٤/ ٢١٩٧) (٦٣ -(٢٨٦٥):

من حديث عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله ﷺ، قال ذات يوم في خطبته: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا.

ولقد اهتم النبي ﷺ بتعليم أصحابه كما ذكر ذلك الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فمن ذلك: ما رواه البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه البخاري(٦٢٦٥):

عن ابن مسعود، يقول: علمني رسول الله ﷺ، وكفي بين كفيه، التشهد، كما يعلمني السورة من القرآن: «**التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**» وهو بين ظهرانينا، فلما قبض قلنا: السلام -يعني- على النبي ﷺ.

وروى أيضًا في صحيحه (٦٣٨٢):

عن جابر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كالسورة من القرآن: " إذا هم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر

ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله- فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله- فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به، ويسمي حاجته ".

وروى مسلم في صحيحه (١٣٤ -(٥٩٠)):

عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول قولوا: «**اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**».

وقد أمر النبي ﷺ بعض أصحابه بعد تعلمهم أن يرجعوا إلى أهليهم؛ فيعلموهم كما روى البخاري في صحيحه (٦٠٠٨):

عن أبي سليمان مالك بن الحويرث، قال: أتينا النبي ﷺ، ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا، فأخبرناه، وكان رَفِيقًا رحيمًا، فقال: «**ارجعوا إلى أهليكم، فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم**».

وقد حث النبي ﷺ على تعليم العلم، وبين أن ذلك مما ينال به الأجر حتى بعد الموت. فقد روى ابن ماجة في سننه (٢٤٠):

عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا فَلَهُ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهِ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ**»، صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٩٦).

وروى البزار في مسنده (٧٢٨٩):

عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: سبع يجري للعبد أجرهن من بعد موته، وهو في قبره: من علم علمًا، أو كرى نهرا، أو حفر بئرًا، أو غرس نَخْلًا، أو بنى مَسْجِدًا، أو ورث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته' حسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٠٢).

وروى البخاري في صحيحه (٦/ ١٩٢) (٥٠٢٧):

عن عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن نشر العلم فضله كبير ومن ذلك: ما رواه الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٧٠):

عن الفَتْح بن سُخْرُفٍ: حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بنُ يَزِيْدَ، حَدَّثَنَا حِبَّانُ بنُ مُوْسَى، قَالَ: عُوتِبَ **ابْنُ المُبَارَكِ** فِيْمَا يُفَرِّقُ مِنَ المَالِ فِي البُلْدَانِ دُوْنَ بَلَدِهِ، قَالَ: إِنِّيْ أَعْرِفُ مَكَانَ قَوْمٍ لَهُم فَضْلٌ وَصِدْقٌ، طَلَبُوا الحَدِيْثَ، فَأَحْسَنُوا طَلَبَهُ لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِم، احْتَاجُوا، فَإِنْ تَرَكْنَاهُم، ضَاعَ عِلْمُهُم، وَإِنْ أَعَنَّاهُم، بَثُّوا العِلْمَ لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ **لاَ أَعْلَمُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَفْضَلَ مِنْ بَثِّ العِلْمِ.**

وروى أيضًا في سير أعلام النبلاء (٧/ ١٨٨):

عن مالك أنه قال فَنَشْرُ العِلْمِ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ البِرِّ.

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٧٩):

الجود بالعلم وبذله وهو من أعلى مراتب الجود، والجود به أفضل من الجود بالمال؛ لأن العلم أشرف من المال.

وقال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب العلم (ص: ١٦٦):

نشر العلم من زكاته، فكما يتصدق الإنسان بشيء من ماله، فهذا العالم يتصدق بشيء من علمه، وصدقة العلم أبقى دومًا وأقل كلفة ومؤنة، أبقى دومًا؛ لأنه ربما كلمة من عالم تُسمع ينتفع بها أجيال من الناس ومازلنا الآن ننتفع بأحاديث أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ولم ننتفع بدرهم واحد من الخلفاء الذين كانوا في عهده، وكذلك العلماء ننتفع بكتبهم ومعهم زكاة وأي زكاة، وهذه الزكاة لا تنقص العلم بل تزيده كما قيل:

يزيـــده بكثـــرة الإنفـــاق منـــه ... ويـــنقص إن بـــه كفًّـــا شـــددت

وقال أيضًا في العلم (ص: ١٦٩):

لأن العلم إذا علمته غيرك، ونشرته بين الأمة، أُجرت على ذلك من عدة وجوه:

أولًا: أن في نشرك العلم نشرًا لدين الله عَزَّوَجَلَّ فتكون من المجاهدين، فالمجاهد في سبيل الله يفتح البلاد بلدًا بلدًا حتى ينشر فيها الدين، وأنت تفتح القلوب بالعلم حتى تنشر فيها شريعة الله عَزَّوَجَلَّ.

ثانيًا: من بركة نشر العلم وتعليمه، أن فيه حفظًا لشريعة الله وحماية لها؛ لأنه لولا العلم لم تحفظ الشريعة، فالشريعة لا تحفظ إلا برجالها رجال العلم، ولا يمكن حماية الشريعة إلا برجال العلم، فإذا نشرت العلم، وانتفع الناس بعلمك، حصل في هذا حماية لشريعة الله، وحفظ لها.

ثالثًا: فيه أنك تُحسن إلى هذا الذي علمته؛ لأنك تبصره بدين الله -عَزَّوَجَلَّ- فإذا عبد الله على بصيرة؛ كان لك من الأجر مثل أجره؛ لأنك أنت الذي دللته على الخير، والدال على الخير كفاعل الخير، فالعلم في نشره خير وبركة لناشره ولمن نُشر إليه.

رابعًا: أن في نشر العلم وتعليمه زيادة له، علم العالم يزيد إذا علَّم الناس؛ لأنه استذكار لما حفظ، وانفتاح لما لم يحفظ، وما أكثر ما يستفيد العالم من طلبة العلم، فطلابه الذين عنده أحيانًا يأتون له بمعان ليست له على بال، ويستفيد منهم وهو يعلمهم، وهذا شيء مشاهد. اهـ

فنشر العلم فيه نفع للعبد نفسه، وللإسلام والمسلمين؛ فينبغي أن نحرص على نشره.

وقد قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التذكرة في الوعظ (ص: ٥٥):

وَمن أحب ألا يَنْقَطِع عمله بعد مَوته فلينشر الْعلم بالتدوين والتعليم، فَفِي الحَدِيث: «إِذا مَاتَ الإِنسان انْقَطع عمله إلا من ثَلَاث، صَدَقَة جَارِيَة، أَوْ علم ينْتَفع بِهِ، أَوْ ولد صَالح يَدْعُو لَهُ».

وقال ابن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع الفتاوى (٦/ ٥٣):

ويجب أن تحرص على نشر العلم بكل نشاط وقوة، وألا يكون أهل الباطل أنشط في باطلهم، وأن تحرص على نفع المسلمين في دينهم ودنياهم. **اهـ**

ولقد حرص العلماء على نشر العلم حتى وهم في آخر لحظات حياتهم.

فقد قال ابن أبي حاتم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجرح والتعديل (١/ ٣٦٧):

حضرت أبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان في النزع وأنا لا أعلم فسألته عن عقبة بن عبد الغافر يروي عن النبي ﷺ: له صحبة؟ فقال برأسه: لا، فلم اقنع منه فقلت: فهمت عني: له صحبة؟ قال: هو تابعي.

قلت: فكان سيد عمله معرفة الحديث وناقلة الآثار فان في عمره يقتبس منه ذلك فأراد الله أن يظهر عند وفاته ما كان عليه في حياته.

وذكر الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة صفي الدين الهندي من معجم شيوخه (٢/ ٢١٦):

فَذَكَرَ حَدِيثَيْنِ لَيْسَا هُمَا عِنْدِي، قَرَأْتُهُمَا عَلَيْهِ وَنَفَسُهُ يُحَشْرِجُ فِي الصَّدْرِ، فَتُوُفِّيَ يَوْمَئِذٍ، عَفَا اللهُ عَنْهُ وَعَنَّا، آمِينَ.

فالذي ينبغي أن ينشر العلم ولا يخفى؛ فإن إخفائه هلكة كما ذكر ذلك بعض العلماء. فقد قال الإمام البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (١/ ٣١):

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ: «**ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًا**».

وقال ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢١/ ١٥٠):

ولهذا قال بعض الحكماء إخفاء العمل نجاة، وإخفاء العلم هلكة[(١)].

ولقد حذر النبي ﷺ من كتمان العلم لمن سئل عنه. فقد روى أبو داود في سننه (٣٦٥٨):

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة**». قال الألباني: حسن صحيح

وقال الشيخ الفوزان حفظه الله. في "شرح مسائل الجاهلية (ص: ٢٨٣)" عند المسألة الرابعة عشرة بعد المائة (كِتْمَانُ الحَقِّ مَعَ العِلْمِ بِهِ):

وأشد من كتمان الشهادة:

كتمان العلم، الذي هو حياة الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، فالواجب بيان الحق، وعدم المداهنة، ومن ذلك: إذا رأى الناس على باطل أو خرافات أو شرك؛ فإنه لا يسكت، بل يجب عليه أن يبين، ولا يترك الناس يقعون في عبادة القبور، وعبادة الأضرحة، ومزاولة البدع المضلة، ويسكت ويقول: ليس لي شأن بالناس، أو يرى الناس يتعاملون بالمعاملات المحرّمة ويسكت، فهذا كتمان للعلم وخيانة للنصيحة، فالله لم يعطك هذا العلم من أجل أن

---

(١) **قال شيخنا أبو بكر عند قوله:** (**إخفاء العمل نجاة**): وهذا ليس على إطلاقه، فقد يحتاج إلى إظهار العمل للاقتداء مع صلاح النية فيكون داع للناس بعمله، كصاحب الصرة الذي جاء بها إلى النبي ﷺ. والغالب أن السلامة في إخفاء العمل.

وقال عند قوله: (**وإخفاء العلم هلكة**): لأنه إذا كان خفيًا فإنه لن يناله إلا قلة من الناس.

"شرح الفواكه الجنية ص٣٢.من الدروس التي ألقاها في مدينة القاعدة".

تسكت عليه، وإنما حمّلك إياه من أجل أن تبينه للناس، وأن تدعو إلى الله على بصيرة، وأن تحاول إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

فلا يسوغ للعلماء أن يسكتوا، وهم يقدرون على البيان، لا سيما إذا رأوا الناس في ضلال وشرك وبدع وخرافات، فلا يسعهم السكوت، فإن سكتوا فإن هذا من كتمان العلم الذي عاب الله به اليهود والنصارى، فكيف إذا قال بخلاف الحق وهو يعلمه، وأفتى بخلافه معتمدًا، من أجل إرضاء الناس، أو من أجل تمشية الأمور، أو من أجل أن يساير الناس على ما هم عليه؟! اهـ

فائدة: قد يكتم بعض العلم للمصلحة كما فعل أبو هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقد روى البخاري -رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه (١/ ٣٥) (١٢٠):

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم".

قال الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ في سير أعلام النبلاء (١/ ٧٧):

وَقَدْ صحَّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَتَمَ حَدِيْثًا كَثِيْرًا مِمَّا لاَ يَحْتَاجُهُ المُسْلِمُ فِي دِيْنِهِ، وَكَانَ يَقُوْلُ: لَوْ بَثَثْتُهُ فِيْكُم لَقُطِعَ هَذَا البُلْعُومُ. وَلَيْسَ هذا من باب كتمان العلم فِي شَيْءٍ.

نشر العلم عند غير أهله

ذكرنا فيما سبق أنه ينبغي على طالب العلم أن يهتم بنشر العلم، ولكن مما ينبه عليه أن ينشر العلم عند أهله، الذين يحرصون عليه، ويتشوقون لسماعه؛ فهؤلاء هم الذين ينتفعون به، وأما نشر العلم عند غير أهله، ممن لا يحرص عليه ولا يريد سماعه، فإن في ذلك إضاعة للعلم وإهانة له. والسلف رحمهم الله كانوا يوصون بهذه الوصايا العظيمة.

وقد قال الإمام البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (٥/ ٦٧) (٣٩٢٨):

حدثنا يحيى بن سليمان، حدثني ابن وهب، حدثنا مالك، وأخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله، أن عبد الله بن عباس، أخبره: أن عبد الرحمن بن عوف رجع إلى أهله وهو بمنى، في آخر حجة حجها عمر فوجدني، فقال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، وإني أرى أن تمهل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة والسلامة، وتخلص لأهل الفقه وأشراف الناس وذوي رأيهم، قال عمر: "لأقومن في أول مقام أقومه بالمدينة".

قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٦٣):

وفي هذا تنبيه على ألا يودع العلم عند غير أهله، ولا يحدث القليل الفهم بما لا يحتمله فهمه. **اهـ**

وقال البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (٦٣٣٧):

حدثنا يحيى بن محمد بن السكن، حدثنا حبان بن هلال أبو حبيب، حدثنا هارون المقرئ، حدثنا الزبير بن الخريت، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: "حدث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرار، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم، فتقص عليهم، فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه"، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب.

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري (١١/ ١٣٩):

وفيه كراهة التحديث عند من لا يقبل عليه والنهي عن قطع حديث غيره وأنه لا ينبغي نشر العلم عند من لا يحرص عليه ويحدث من يشتهي بسماعه لأنه أجدر أن ينتفع به. اهـ

وقد بوب الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٣٢٧) بَابُ كَرَاهَةِ التَّحْدِيثِ لِمَنْ لَا يَبْتَغِيهِ وَأَنَّ مِنْ ضَيَاعِهِ بَذْلُهُ لِغَيْرِ أَهْلِيهِ. وذكر في ذلك عدة آثار ومنها:

عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: "لَا تَنْشُرْ بَزَّكَ إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَبْغِيهِ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: قَالَ أَبِي: يَعْنِي الْحَدِيثَ".

وعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: "نَكَدُ الْحَدِيثِ الْكَذِبُ، وَآفَتُهُ النِّسْيَانُ، وَإِضَاعَتُهُ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ.

وعَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: " إِنَّ لِهَذَا الْحَدِيثِ ثَمَنًا، قَالُوا: وَمَا ثَمَنُهُ؟ قَالَ: أَنْ يُوضَعَ عِنْدَ مَنْ يُحْسِنُ حِفْظَهُ وَلَا يُضَيِّعُهُ ".

وعن مُطَرِّفٍ، قَالَ: "لَا تُطْعِمْ طَعَامَكَ مَنْ لَا يَشْتَهِيهِ، أَيْ: لَا تُحَدِّثْ بِالْحَدِيثِ مَنْ لَا يُرِيدُهُ ".

وعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: "إِنَّ مِنَ إِضَاعَةِ الْعِلْمِ أَنْ يُحَدَّثَ بِهِ مَنْ لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ".

وعن أَبِي سُفْيَانَ الْحِمْيَرِيُّ، قَالَ: "قَدِمَ الْأَعْمَشُ السَّوَادَ فَسَأَلُوهُ أَنْ يُحَدِّثَهُمْ فَأَبَى فَقِيلَ لَهُ: لَوْ حَدَّثْتَهُمْ، قَالَ: وَمَنْ يُعَلِّقُ الدُّرَّ عَلَى الْخَنَازِيرِ".

وعن مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، قال: «**طَارِحُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَطَارِحِ الزِّبَرْجَدِ لِلْخَنَازِيرِ**». (انتهى)

وروى ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٠٨):

قَالَ شُعْبَةُ: أَتَانِي الْأَعْمَشُ وَأَنَا أُحَدِّثُ قَوْمًا فَقَالَ: وَيْحَك تُعَلِّقُ اللُّؤْلُؤَ فِي أَعْنَاقِ الْخَنَازِيرِ، وَقَالَ مُهَنَّا لِأَحْمَدَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ؟ فَقَالَ: مَعْنَى قَوْلِهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُحَدَّثَ مَنْ لَا يَسْتَأْهِلُ. **اهـ**

وقال ابن جماعة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في تذكرة السامع والمتكلم:

أن يصون العلم كما صانه علماء السلف، ويقوم له بما جعله تعالى له من العزة والشرف فلا يذله بذهابه ومشيه إلى غير أهله من أبناء الدنيا من غير ضرورة أو حاجة أو إلى من يتعلمه منه منهم وإن عظم شأنه وكبر قدره. **اهـ**

فنشر العلم عند غير أهله يعتبر إهانة له وإضاعة له.

وقد قال السفاريني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/ ٥٧):

قَالَ مَالِكٌ: ذُلٌّ وَإِهَانَةٌ لِلْعِلْمِ أَنْ تتكَلَّمَ بِهِ عِنْدَ مَنْ يُضَيِّعُهُ. اهـ

وقال ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٠٨):

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِك بْنُ عُمَيْرٍ: كَانَ يُقَالُ: إضَاعَةُ الْحَدِيثِ أَنْ يُحَدَّثَ بِهِ مَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ. اهـ

وقال عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان في مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (١/ ٢٥٥):

نشر العلم عند من ليس من أهله مفسد لهم، كإطعامك العسل والسكر والتمر من به مرض السكر، ومن به احتراق وحمى. وكتشميمك المسك والعنبر لمن به صداع الصفراء، أو به شقيقة وهو وجع نصف الرأس. اهـ

الملازمة للعلماء ولطلاب العلم ولمن تتعلم منه

اعلم يا طالب العلم أن مما يسهل الطريق للحصول على العلم هو ملازمة العلماء، وقد أخبرنا الصحابي الجليل أبو هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه بملازمته للنبي ﷺ صار يحفظ ما لا يحفظ غيره.

كما روى ذلك البخاري -رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه (١١٨):

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: "إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا، ثم يتلو ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩] إلى قوله ﴿الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون".

وروى أيضًا في صحيحه (٣٧٠٨):

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أن الناس، كانوا يقولون أكثر أبو هريرة وإني كنت ألزم رسول الله ﷺ بشبع بطني حتى لا آكل الخمير ولا ألبس الحبير، ولا يخدمني فلان ولا فلانة، وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنت لأستقرئ الرجل الآية، هي معي، كي ينقلب بي فيطعمني، وكان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء، فنشقها فنلعق ما فيها".

▪ **وإليك بعض الأقوال التي رواها الإمام الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء فيما يتعلق بهذا الباب:**

قال القَعْنَبِيُّ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُوْلُ: كَانَ الرَّجُلُ يَخْتلِفُ إِلَى الرَّجُلِ ثَلاَثِيْنَ سَنَةً يَتَعَلَّمُ مِنْهُ.

وقال القَعْنَبِيَّ: اخْتَلَفْتُ إِلَى مَالِكٍ ثَلاَثِيْنَ سَنَةً مَا مِنْ حَدِيْثٍ فِي المُوَطَّأِ إِلَّا لَوْ شِئْتُ قُلْتُ: سَمِعْتُهُ مِرَارًا.

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ نَافِعٍ: جَالَسْتُ مَالِكًا خَمْسًا وَثَلاَثِيْنَ سَنَةً.

وقال سَعِيْد بن أَبِي مَرْيَمَ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُوْلُ: جَالَسَ نُعَيْمٌ المُجْمِرُ أَبَا هُرَيْرَةَ عِشْرِيْنَ سَنَةً.

وقال ثابت البناني: صَحِبْتُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً مَا رَأَيْتُ أَعْبَدَ مِنْهُ!.

وقال يحي بن سعيد القطان: لَزِمْتُ شُعْبَةَ عِشْرِيْنَ سَنَةً.

وقَالَ غُنْدَرٌ: لَزِمْتُ شُعْبَةَ عِشْرِيْنَ سَنَةً.

وَقال حَمَّادِ بنِ زَيْدٍ: جَالَسْتُ أَيُّوْبَ عِشْرِيْنَ سَنَةً.

وقال أبو نُعَيْم: لَزِمَ أَبُو مُعَاوِيَةَ الأَعْمَشَ عِشْرِيْنَ سَنَةً.

وَقَالَ أَبُو عَوَانَةَ الوَضَّاحُ: صَحِبتُ يَزِيْدَ بنَ زُرَيْعٍ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً، يَزدَادُ فِي كُلِّ سَنَةٍ خَيْرًا. **(انتهى)**

حرص طالب العلم على الوقت

يعتبر الوقت من أثمن الأمور التي ينبغي على طالب العلم الحرص عليها، واستغلالها فيما يعود عليه بالنفع. وقد حث النبي ﷺ على اغتنام الأوقات.

فقد ذكر الحاكم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٣٤١):

عن ابن عباس، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمْسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧).

وروى البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (٦٤١٢):

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبي ﷺ: " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ ".

قال المباركفوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحفة الأحوذي (٦/ ٤٨٥):

والمعنى لا يعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس حيث لا يكسبون فيهما من الأعمال كفاية ما يحتاجون إليه في معادهم فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها ولا ينفعهم الندم. **اهـ**

وقد ذكر العلماء نصائح طيبة في هذا الباب ومن ذلك:

ما قاله ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صيد الخاطر (ص: ٣٣) حيث قال:

ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل.

وقال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجموع شرح المهذب (١/ ٣٧):

وينبغي أن يكون حريصًا على التعليم مواظبا عليه في جميع أوقاته ليلًا ونهارا حضرا وسفرا ولا يذهب من أوقاته شيئًا في غير العلم إلا بقدر الضرورة لأكل ونوم قَدْرًا لا بد منه ونحوهما كاستراحة يسيرة لإزالة الملل وشبه ذلك من الضروريات وليس بعاقل من أمكنه درجة ورثة الأنبياء ثم فوتها. **اهـ**

وتأمل إلى بعض الصور التي تبين حرص العلماء على أوقاتهم.

فقد روى الذهبي رخمه الله في تذكرة الحفاظ (٣/ ٢٢٤) في ترجمة الخطيب البغدادي:

عن ابن الآبنوسي قال: كان الخطيب يمشي وفي يده جزء يطالعه.

وروى أيضًا في تذكرة الحفاظ (٤/ ١١٣)في ترجمة عبد الغني المقدسي:

وقال الضياء: وكان لا يضيع شيئًا من زمانه.

وروى أيضًا في تذكرة الحفاظ (٤/ ١٧٥) في ترجمة النووي:

قال ابن العطار: ذكر لي شيخنا --رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- أنه كان لا يضيع له وقتًا لا في ليل ولا في نهار إلا في اشتغال حتى في الطرق.

وروى أيضًا في تذكرة الحفاظ (٣/ ١٩٦) في ترجمة أبي نعيم الأصبهاني:

قال أحمد بن محمد بن مردويه: كان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده وكل يوم نوبة واحد منهم يقرأ ما يريد إلى قريب الظهر، فإذا قام إلى داره ربما كان يقرأ عليه في الطريق جزء، وكان لا يضجر، لم يكن له غذاء سوى التسميع والتصنيف. **اهـ**

وذكر ابن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٢٤) في ترجمة ابن عقيل عن ابن الجوزي أنه قال:

وكان دائم التشاغل بالعلم، حتى أني رأيتُ بخطه: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عُمري، حتى إذا تعطَّل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعةٍ، أعملتُ فكري في حال راحتي، وأنا مستطرح، فلا أنهض إلاَّ وقد خطر لي ما أسطره. وإني لأجدُ من حرصي على العلم. وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجدُه وأنا ابن عشرين سنة.

وذكر أيضًا في ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥) في ترجمة ابن تيمية الجد مجد الدين أبو البركات:

قَالَ شيخنا أبوعبدالله بْن القيم: حَدَّثَنِي أَخُو شيخنا عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عَبْد الحليم ابن تيمية -قُلْت: وَقَدْ أجازني عَبْد الرَّحْمَنِ هَذَا عَن أَبِيهِ- قَالَ: كَانَ الجد إِذَا دَخَلَ الخلاء يَقُول لي: اقرأ فِي هَذَا الكتاب، وارفع صوتك حَتَّى أسمع.

قُلْت: يشير بِذَلِكَ إِلَى قوة حرصه عَلَى العلم وحصوله، وحفظه لأوقاته. اهـ

وروى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥٩):

عن عَمَّار بن رَجَاءَ قال: سَمِعْتُ عُبَيْدَ بنَ يَعِيْشَ يَقُوْلُ: أَقَمْتُ ثَلاَثِيْنَ سَنَةً مَا أَكَلتُ بِيَدِي بِاللَّيْلِ، كَانَتْ أُختِي تُلقمُنِي، وَأَنَا أَكتُبُ.

وروى ابن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٢٥):

عن ابن عقيل الحنبلي أنه قال: أنا أقصرُ بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سف الكعك وتحسيه بالماء على الخبزة لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفرا على مطالعة، أو تسطير فائدة، لم أدركها فيه.

وقال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مواسم العمر (ص: ٦٠):

وكان داود الطائي يشرب الفتيت، ولا يأكل الخبز، فقيل له في ذلك، فقال: بين شرب الفتيت ومضغ الخبز قراءة خمسين آية.

وقال الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٢٩):

وَرَوَى: مُحَمَّدُ بنُ يُوْسُفَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ مُبَشِّرٍ الكَرْمِيْنِيِّ، قَالَ: انكَسَرَ قَلَمُ مُحَمَّدِ بنِ سَلاَمٍ البِيْكَنْدِيِّ فِي مَجْلِسِ شَيْخٍ، فَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى: قَلَمٌ بِدِيْنَارٍ، فَطَارَتْ إِلَيْهِ الأَقلاَمُ.

احترام طالب العلم لمن يعلمه وصبره عليه

ينبغي على طالب العلم أن يحترم معلمه، وأن يعرف حقه، وأن يتأدب معه ويتلطف في خطابه. وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ خطاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الخضر فقال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: ٦٦].

قال السعدي -رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٨٤) في الفوائد عند قول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾:

ومنها: التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب، لقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنك هل تأذن لي في ذلك أم لا وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يدعي أنه يتعاون هم وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جدًا، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم. **اهـ**

وقد روى الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللَّهُ في مسنده (٢٢٧٥٥):

عن عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا**».

ورواه السيوطي في الجامع الصغير وفيه: (ويعرف لعالمنا حقه).

وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٣).

قال المناوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فيض القدير (٥/ ٣٨٩):

قال الحكيم: إجلال الكبير هو حق سنه لكونه تقلب في العبودية لله في أمد طويل ورحمة الصغير موافقة لله فإنه رحم ورفع عنه العبودية ومعرفة حق العالم هو حق العلم بأن يعرف قدره بما رفع الله من قدره فإنه قال: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ فيعرف له درجته التي رفع الله له بما آتاه من العلم. **اهـ**

وروى ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع بيان العلم وفضله(٨٤٠) (١/ ٥١٩):

عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «**مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُوَقَّرَ الْعَالِمُ**». **اهـ**

وتأمل إلى فعل الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا مع زيد بن ثابت -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

فقد روى الحاكم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مستدركه (٥٧٨٥) (٣/ ٤٧٨):

عن ابن عباس، أنه أخذ بركاب زيد بن ثابت، فقال له: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ "، فقال: «**إنا هكذا نفعل بكبرائنا وعلمائنا**» صحيح الإسناد على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

وهكذا تأمل في تعظيم السلف لعلمائهم ومشايخهم.

فقد روى الخطيب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢٨٨) (١/ ١٨٢):

عن محمد بن سيرين قال: «**رَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى وَأَصْحَابُهُ يُعَظِّمُونَهُ وَيُسَوِّدُونَهُ وَيُشَرِّفُونَهُ مِثْلَ الْأَمِيرِ**».

وروى أيضًا في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٨٦):

عن شُعْبَةَ، قال: «**حَدَّثَنِي سَيِّدُ الْفُقَهَاءِ أَيُّوبُ**». اهـ

وقال الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٠):

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ حمدُوْن بنِ رُسْتُمَ: سَمِعْتُ مُسْلِمَ بنَ الحَجَّاجِ، وَجَاءَ إِلَى البُخَارِيِّ فَقَالَ: دَعْنِي أُقَبِّلْ رجليكَ يَا أُسْتَاذَ الأُسْتَاذِين، وَسَيِّدَ المُحَدِّثِيْنَ، وَطبيبَ الحَدِيْثِ فِي عِلَلِهِ. اهـ

وروى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وذيوله (١٢/ ٣٦) قال:

أَخْبَرَنَا البرقاني قَالَ: كنت أسمع عَبْد الغنى بْن سعيد الحافظ كثيرًا إذا حكى عَن أَبِي الحسن الدارقطني شيئًا يَقُولُ: قَالَ أستاذي، وسمعت أستاذي. فقلت له فِي ذلك فقال: وهل تعلمنا هذين الحرفين من العلم إلا من أَبِي الحسن الدارقطني. **قَالَ لنا البرقاني**: وما رأيت بعد الدارقطني أحفظ من عَبْد الغنى بْن سعيد. اهـ

وروى الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٣٢٠):

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: " كَانَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ يُحَدِّثُنَا فَيَسِحُّ عَلَيْنَا مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ، وَيُشِيرُ عُبَيْدُ اللهِ بِيَدَيْهِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَإِذَا طَلَعَ رَبِيعَةُ قَطَعَ يَحْيَى حَدِيثَهُ إِجْلَالًا لِرَبِيعَةَ وَإِعْظَامًا لَهُ ". اهـ

وروى البيهقي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المدخل إلى السنن الكبرى (ص: ٣٩٠):

عن الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ ،أنه قال: وَاللهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيْبَةً لَهُ. اهـ

ولقد كان أهل العلم يدعون لمن يتعلمون منهم ويستغفرون لهم.

فقد روى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٤):

عن أبي ثور قال: قَالَ لِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَهْدِيٍّ: مَا أُصَلِّي صَلاَةً إِلاَّ وَأَنَا أَدْعُو لِلشَّافِعِيِّ فِيْهَ.

وروى الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تاريخ بغداد (١٥/ ٤٥٧):

عن أبي حنيفة، أنه قال: ما صليت صلاة منذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه علمًا أو علمته علمًا. **اهـ**

ومما ينبغي على طالب العلم أن يشكر معلمه على ما يقوم به من تعليمه الخير.

قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٣):

وعلى المتعلم أن يعرف حرمة أستاذه ويشكر إحسانه إليه؛ فإنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله ولا يجحد حقه ولا ينكر معروفه. **اهـ**

طالب العلم يستفيد من أخلاق معلمه ومن أدبه

إنه مما ينبغي على طالب العلم أن يحرص على الاستفادة من أخلاق معلمه، ومن هديه وأدبه، كما يستفيد من علمه. ولقد كان السلف يحرصون على تعلم الأدب والسمت ممن يأخذون منه العلم، بل وينصحون بتعلم هذه الأمور. وإليك بعض ما نقل عنهم في ذلك:

قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البداية والنهاية (٩/ ٣٤٥):

وروى الأوزاعي عن الزهري قال: كنا نأتي العالم فما نتعلم من أدبه أحب إلينا من علمه.

وقال الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٨/ ١١٣):

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: مَا نَقَلْنَا مِنْ أَدَبِ مَالِكٍ، أَكْثَرُ مِمَّا تَعَلَّمْنَا مِنْ عِلْمِهِ.

وروى عياض بن موسى اليحصبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ١٣٠):

عن مالك قال: كانت أمي تعممني وتقول لي اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه.

وقال ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٤٩):

وَقِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: إلَى الْبَصْرَةِ، فَقِيلَ لَهُ مَنْ بَقِيَ؟ فَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ آخُذُ مِنْ أَخْلَاقِهِ آخُذُ مِنْ آدَابِهِ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: كُنَّا نَأْتِي الرَّجُلَ مَا نُرِيدُ عِلْمَهُ لَيْسَ إِلَّا أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ هَدْيِهِ وَسَمْتِهِ وَدَلِّهِ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ يَحْضُرُونَ عِنْدَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ مَا يُرِيدُونَ أَنْ يَسْمَعُوا شَيْئًا إِلَّا يَنْظُرُوا إِلَى هَدْيِهِ وَسَمْتِهِ.

وقال ابن مفلح أيضًا في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٢):

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ كَانَ يَجْتَمِعُ فِي مَجْلِسِ أَحْمَدَ زُهَاءُ عَلَى خَمْسَةِ آلَافٍ، أَوْ يَزِيدُونَ، أَقَلُّ مِنْ خَمْسِمِائَةٍ يَكْتُبُونَ، وَالْبَاقِي يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ حُسْنَ الْأَدَبِ وَحُسْنَ السَّمْتِ.

وروى الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٨٠):

عن إبراهيم بن حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ، قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: "يَا بُنَيَّ، إِيتِ الْفُقَهَاءَ، وَالْعُلَمَاءَ، وَتَعَلَّمْ مِنْهُمْ، وَخُذْ مِنْ أَدَبِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَهَدْيِهِمْ، فَإِنَّ ذَاكَ أَحَبُّ إِلَيَّ لَكَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ".

وروى ايضا في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٧٩):

عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: «**كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْهَدْيَ كَمَا يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ**».

حاجة طالب العلم إلى الأدب

الأدب له شأن عظيم ومنزلة كبيرة؛ إذ هو عنوان سعادة المرء وفلاحه، كما ذكر ذلك **ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٦٨) حيث قال:**

(وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه. وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبواره. فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانهما بمثل قلة الأدب).اهـ

فطالب العلم يحتاج إلى التحلي بالأدب والأخلاق الحسنة. وتأمل في بعض أقوال أهل العلم ونصائحهم في هذا الباب فمن ذلك:

ما رواه الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٨٠):

عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: قَالَ لِي مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: «**نَحْنُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ**».

وروى أبو نعيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٣٣٠):

عن خالد بن نزار قال: سمعت مالك بن أنس، يقول لفتى من قريش: يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم.

وروى الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٧٨):

وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ طَلِبَةُ الْحَدِيثِ أَكْمَلَ النَّاسِ أَدَبًا، وَأَشَدَّ الْخَلْقِ تَوَاضُعًا، وَأَعْظَمَهُمْ نَزَاهَةً وَتَدَيُّنًا، وَأَقَلَّهُمْ طَيْشًا وَغَضَبًا، لِدَوَامِ قَرْعِ أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَخْبَارِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى مَحَاسِنِ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَآدَابِهِ، وَسِيرَةِ السَّلَفِ الْأَخْيَارِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَطَرَائِقِ الْمُحَدِّثِينَ، وَمَآثِرِ الْمَاضِينَ، فَيَأْخُذُوا بِأَجْمَلِهَا وَأَحْسَنِهَا، وَيَصْدِفُوا عَنْ أَرْذَلِهَا وَأَدْوَنِهَا.

طلب العلم في الكبر

طلب العلم كما يكون في الصغر يكون أيضًا في الكبر، وقد طلب العلم في الكبر كثير من الناس حتى صار بعضهم من الأئمة؛ فلذلك يجب على المسلم أن يحرص على طلب العلم مهما كان عمره.

وقد قال الإمام البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (١/ ٢٥):

وقال عمر: «**تفقهوا قبل أن تسودوا**». قال أبو عبد الله: «**وبعد أن تسودوا وقد تعلم أصحاب النبي ﷺ في كبر سنهم**».

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قول عمر: (تفقهوا قبل أن تسودوا) الحكمة فيه أن الإنسان قبل أن يسود أفرغ منه بعد أن يسود ولهذا قال بعضهم: أنت لنفسك ما لم تعرف فإن عرفت فأنت لغيرك، وهذا صحيح الإنسان إذا كان ليس له علاقة بالناس هو فارغ يستطيع أن يتصرف في وقته كيف يشاء، أما إذا كان له علاقة بالناس فإنه لا يحصل له هذا.

لكن البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (وبعد أن تسودوا) وهذا في الحقيقة قد يفهم منه أنه اعتراض على عمر، وأن الفقه يكون قبل أن يكون سيدا، وبعد أن يكون سيدا، ولكن يختلف المغزى في أثر عمر وفي قول البخاري: عمر أراد أن يتفقه الإنسان قبل أن ينشغل في السيادة.

وأما البخاري فأراد أن يبين أن السيادة لا توجب انتهاء طلب العلم، وأن الإنسان حتى لو سود وبلغ ما بلغ من السيادة قلا يتقلص حرصه على طلب العلم.

فالهدفان مختلفان، وليس في قول البخاري اعتراض على قول عمر؛ ما دام الهدف مختلف، ثم استدل البخاري بأن من أصحاب النبي ﷺ من تعلم العلم وهو كبير[(١)]. اهـ

وذكر الإمام الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تذكرة الحفاظ (٤/ ٩٤) في ترجمة ابن الجوزي فقال: وقد قرأ بواسط وهو ابن ثمانين سنة بالعشر على ابن الباقلاني وتلا معه ولده يوسف، نقل ذلك ابن نقطة عن القاضي محمد بن أحمد بن الحسن.

وقال ابن عقيل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإني لأجدُ من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد

مما كنت أجدُه وأنا ابن عشرين سنة[(٢)].

وذكر الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تاريخ الإسلام (٤/ ٩٣٨) في ترجمة غنجار عيسى بن موسى البخاري:

قال الحاكم: هو إمام عصره، طلب العلم على كبر السن ورحل.

وذكر أيضًا في تاريخ الإسلام (٤/ ٩٢٧) في ترجمة الكسائي:

واختار لنفسه قراءة صارت إحدى القراءات السَّبْع، وتعلّم النَّحْوَ على كِبَر سنّه.

(١) شرح صحيح البخاري.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٢٤).

طلب العلم ليس له حد ينتهي إليه

ينبغي على طالب العلم أن يعلم أن طلب العلم ليس له حد ينتهي إليه، بل على طالب العلم أن يستمر في طلبه للعلم حتى يتوفاه الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد ذكر ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٧٤):

- **أقوالًا لأهل العلم في هذا الباب وهي:**

- قال نعيم ابن حماد: سمعت عبد الله بن المبارك رضى الله عنه يقول وقد عابه قوم في كثرة طلبه للحديث فقالوا له إلى متى تسمع قال: إلى الممات.

- وقال الحسين بن منصور الخصاص:

قلت لأحمد بن حنبل رضى الله عنه الى متى يكتب الرجل الحديث قال: إلى الموت.

وقال عبد الله بن محمد البغوي:

سمعت أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول: إنما اطلب العلم إلى أن أدخل القبر.

وقال محمد بن إسماعيل الصائغ:

كنت اصوغ مع أبي ببغداد، فمر بنا أحمد بن حنبل وهو يعدو ونعلاه في يديه، فأخذ أبي بمجامع ثوبه فقال يا أبا عبد الله ألا تستحي إلى متى تعدو مع هؤلاء؟ قال: إلى الموت.

وقال عبد الله بن بشر الطالقاني:

أرجو أن يأتيني أمر ربي والمحبرة بين يدي، ولم يفارقني العلم والمحبرة.

- وقال حميد بن محمد بن يزيد البصري:

جاء ابن بسطام الحافظ يسألني عن الحديث فقلت له ما أشد حرصك على الحديث، فقال: أو ما أحب أن أكون في قطار آل رسول الله.

وقيل لبعض العلماء متى يحسن بالمرء أن يتعلم قال: ما حسنت به الحياة.

وسئل الحسن عن الرجل له ثمانون سنة أيحسن أن يطلب العلم قال: إن كان يحسن به أن يعيش. **(انتهى كلام ابن القيم)**

وقال الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٨٣):

وَرَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ ابْنَ المُبَارَكِ قِيْلَ لَهُ: إِلَى مَتَى تَكتُبُ العِلْمَ؟ قَالَ: لَعَلَّ الكَلِمَةَ الَّتِي أَنْتَفِعُ بِهَا لَمْ أَكتُبْهَا بَعْدُ. **انتهى**

وقال ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٥٣):

وَقَالَ الْبَغَوِيّ عَنْ أَحْمَدَ أَنَا أَطْلُبُ الْعِلْمَ إلَى أَنْ أَدْخُلَ الْقَبْرَ وَقَالَ صَالِحٌ رَأَى رَجُلٌ مَعَ أَبِي مِحْبَرَةً فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ هَذَا الْمَبْلَغَ وَأَنْتَ إمَامُ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ مَعِي الْمِحْبَرَةُ إلَى الْمَقْبَرَةِ. اهـ

ولقد حرص العلماء رحمهم الله على العلم حتى عند مرض موتهم وتأمل في بعض هذه الصور.

فقد ذكر القرشي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ٣٦) في ترجمة إبراهيم بن الجراح التميمي تلميذ أبي يوسف أنه قال:

أَتَيْته أعوده فَوَجَدته مغمى عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاق قَالَ لي يَا إِبْرَاهِيم أَيّمَا أفضل في رمي الْجمار أَن يرميها الرجل رَاجِلا أَو رَاكِبًا، فَقلت: رَاجِلا فَقَالَ: أَخْطَأت فَقلت: رَاكِبًا فَقَالَ لي أَخْطَأت ثمَّ قَالَ أما ما كَانَ يُوقف عِنْده للدُّعَاء فَالْأَفْضَل أَن يرميه رَاجِلا، وأما ما كَانَ لَا يُوقف عِنْد فَالْأَفْضَل أَن يرميه رَاكِبًا، ثمَّ قُمْت من عِنْده فَمَا بلغت بَاب دَاره حَتَّى سَمِعت الصُّرَاخ عَلَيْهِ وَإِذا هُوَ قد مَاتَ. اهـ

وذكر ابن أبي حاتم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجرح والتعديل (١/ ٣٤٥):

باب ما ظهر لأبي زرعة من سيد عمله عند وفاته قال سمعت أبي يَقُولُ: مَاتَ أَبُو زُرْعَةَ مَطْعُونًا مَبْطُونًا يَعْرَقُ جَبِينُهُ فِي النَّزْعِ فَقُلْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ: مَا تَحْفَظُ فِي تَلْقِينِ الْمَوْتَى لا إِلَهَ إِلا اللهُ؟ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ: يُرْوَى عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فَمَنْ قَبِلَ أَنْ يَسْتَتِمَّ رَفَعَ أَبُو زُرْعَةَ رَأْسَهُ وَهُوَ فِي النَّزْعِ فَقَالَ: رَوَى عبد الحميد ابن جَعْفَرٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي عَرِيبٍ عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ مُعَاذٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لا إِلَهَ إِلا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ. فَصَارَ الْبَيْتُ ضَجَّةً بِبُكَاءِ مَنْ حَضَرَ.

وروى أبو نعيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٦٤):

عن فرقد إمام مسجد البصرة يقول: دخلوا على سفيان الثوري في مرضه الذي مات فيه، فحدثه رجل بحديث، فأعجبه وضرب يده إلى تحت فراشه، فأخرج ألواحا له فكتب ذلك الحديث، فقالوا له: على هذه الحال منك؟ فقال: «**إنه حسن، إن بقيت فقد سمعت حسنًا، وإن مت فقد كتبت حسنًا**».

وذكر الدلجي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفلاكة والمفلوكون (ص: ٦٤) في ترجمة ابن مالك صاحب الألفية:

كان كثير الأشغال والاشتغال، حتى إنه حفظ في اليوم الذي مات فيه خمسة شواهد.

وذكر السيوطي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٢/ ٢٩):

في ترجمة عبدالله بن إبراهيم الخبري أَنه كَانَ يكْتب يَوْمًا وَهُوَ مُسْتَند، فَوضع الْقَلَم من يَده، وَقَالَ: إِن هَذَا موت مهنأ طيب، ثمَّ مَاتَ.

وقد ذكر ابن عساكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تاريخ دمشق (٥٢/ ١٩٩):

أن أبا جعفر الطبري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل موته وتوفي بعد ساعة أو أقل منها ذكر له دعاء عن جعفر بن محمد فاستدعى محبرة وصحيفة فكتبه فقيل له أفي هذه الحال فقال ينبغي للإنسان ان لا يدع اقتباس العلم حتى يموت.

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٧١):

وقال عبد الله بن الإمام أحمد قال لي أبي في مرضه الذي توفي فيه أخرج إلي كتاب عبد الله بن إدريس فأخرجت الكتاب فقال أخرج أحاديث ليث بن أبي سليم فأخرجت أحاديث ليث فقال اقرأ علي أحاديث ليث قال قلت لطلحة إن طاووس كان يكره الأنين في المرض فما سمع له أنين حتى مات فما سمعت أبي أن في مرضه ذلك إلى أن توفي.

طلب العلم من الجهاد في سبيل الله

قال الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح رياض الصالحين (٥/ ٤١٣):

والعلم جهاد في سبيل الله وعليه يبنى الجهاد وسائر الإسلام لأن من لا يعلم لا يمكن أن يعمل على الوجه المطلوب؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾، يعني لولا نفر بالجهاد من المؤمنين من كل فرقة منهم طائفة وقعدت طائفة أخرى ليتفقهوا أي الطائفة القاعدون في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم أي رجعوا من الغزو لعلهم يحذرون فجعل الله تعالى الفقه في دين الله معادلا للجهاد في سبيل الله بل أولى منه لأنه لا يمكن أن يجاهد المجاهد ولا أن يصلي المصلي ولا أن يزكي المزكي ولا أن يصوم الصائم ولا أن يحج الحاج ولا أن يعتمر المعتمر ولا أن يأكل الآكل ولا أن يشرب الشارب ولا أن ينام النائم ولا أن يستيقظ المستيقظ إلا بالعلم فالعلم هو أصل كل شيء ولذلك قال النبي ﷺ من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين.

ولا فرق بين المجاهد الذي يسوي قلل قوسه وبين طالب العلم الذي يستخرج المسائل العلمية من بطون الكتب كل منهم يعمل للجهاد في سبيل الله وبيان شريعة الله لعباد الله.

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٧٠):

وإنما جعل طلب العلم من سبيل الله لأن به قوام الإسلام كما أن قوامه بالجهاد فقوام الدين بالعلم والجهاد ولهذا كان الجهاد نوعين جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير والثاني الجهاد بالحجة والبيان وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه قال تعالى في سورة الفرقان وهي مكية { ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرًا} فهذا جهاد لهم بالقرآن وهو أكبر الجهادين وهو جهاد المنافقين أيضًا فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين بل كانوا معهم في الظاهر وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم ومع هذا فقد قال تعالى { يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم} ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن والمقصود أن سبيل الله هي الجهاد وطلب العلم ودعوة الخلق به إلى الله.

وقال ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفروع وتصحيح الفروع (٢/ ٣٤٨):

فَالْمَوْتُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَوْلَى بِالشَّهَادَةِ.

الرحلة في طلب العلم

تعتبر الرحلة في طلب العلم من أسباب الحصول على العلم، ومن أسباب حفظه وجمعه للأمة، وما زال العلماء يرحلون جيلا بعد جيل من مكان لآخر لأخذ العلم وتلقيه عن أهله. بل هذا نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رحل في طلب العلم، وقد ذكر الله سبحانه وتعال في كتابه الكريم قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع الخضر، وكيف أن موسى رحل إلى الخضر؛ لما علم أن الخضر عنده من العلم ما ليس عنده.

فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف:٦٠-٧٠].

قال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

وفي هذه القصة العجيبة الجليلة، من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير، ننبه على بعضه بعون الله. فمنها فضيلة العلم، والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك. **اهـ**

وقال الشوكاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٤) في تفسير سورة الكهف:

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَفِيمَا فَعَلَ مُوسَى وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَالرِّحْلَةِ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ طَلَبَ الْعِلْمِ وَإِنْ كَانَ قَدْ بَلَغَ نِهَايَتَهُ[(١)]، وَأَنْ يَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ أَعْلَمُ منه[(٢)]. اهـ

قال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله في اللآلئ البهية شرح الفواكه الجنية عند قول الزجاج: فالرحلة في طلب العلم من سنن المرسلين، كما فعل ذلك موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رحل تلك الرحلة يريد أن يلتمس العلم من الخضر، وموسى أفضل من الخضر؛ لكن عند الخضر علم لا يعلمه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

---

(١) **قال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله تعالى قوله**: (وإن كان قد بلغ نهايته) فيها مبالغة وليس الأمر كذلك باعتبار الواقع؛ وإلا فلا أحد يبلغ المنتهى لا في العلم ولا في غيره. وحتى في حق الله تعالى لا يقال بلغ المنتهى في العلم؛ فعلم الله لا نهاية له ولكن يقال بلغ كمال العلم. [شرح الفواكه الجنية- من الدروس التي ألقاها في مدينة القاعدة].

(٢) **قال شيخنا أبو بكر**: ولو كان في مسألة من المسائل. وهذا من تعظيم العلم. [نفس المصدر السابق].

فتواضع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للخضر من أجل ذلك العلم مع أن عند موسى من العلم الشيء الكثير ما لا يعلمه الخضر. اهـ

وقد ذكر الإمام البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (٧٨) ما يتعلق بهذه القصة فقال:

حدثنا أبو القاسم خالد بن خلي قاضي حمص قال: حدثنا محمد بن حرب، قال: حدثنا الأوزاعي، أخبرنا الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى، فمر بهما أبي بن كعب، فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيه، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه؟ فقال أبي: نعم، سمعت النبي ﷺ يذكر شأنه يقول: «**بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل، إذ جاءه رجل فقال: أتعلم أحدًا أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله عَزَّوَجَلَّ إلى موسى: بلى، عبدنا خضر، فسأل السبيل إلى لقيه، فجعل الله له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع، فإنك ستلقاه، فكان موسى صلى الله عليه يتبع أثر الحوت في البحر، فقال فتى موسى لموسى:** ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾، **قال موسى:** ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، **فوجدا خضرًا، فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه**».

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح صحيح البخاري:

والشاهد من هذا: أنه لا بأس أن يطلب العالم العلم ممن هو دونه؛ لأنه لا يحيط أحد بالعلم، وإن علمت أشياء فقد تعزب عنك أشياء أخرى. **اهـ**

وقال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (ص: ٤٨٤)عند ذكر فوائد هذه القصة:

ومنها: تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه، ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة. اهـ

وقد رحل الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ورحل من بعدهم لطلب العلم.

وقد بوب الإمام البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (١/ ٢٦) باب الخروج في طلب العلم فقال:

ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر، إلى عبد الله بن أنيس، في حديث واحد.

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح صحيح البخاري:

قد يقول قائل لماذا يرحل مسيرة شهر في ذلك الوقت مع شدة الأسفار ومشقتها أليس قد حدث به عبدالله بن أنيس لماذا لم يقل حدثني فلان عن عبدالله بن أنيس؟

الجواب: قال العلماء فائدة ذلك هو علو السند؛ لأنه إذا حدثه عمن حدث عن عبدالله بن أنيس زاد السند، فإذا أخذ منه رَأْسًا قل السند وهذا هو علو الإسناد. اهـ

وبوب الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الرحلة في طلب الحديث (ص: ١٠٩):

ذِكْرُ مَنْ رَحَلَ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الْأَكْرَمِينَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وذكر عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ قَالَ: بَلَغَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثٌ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ قَالَ: فَابْتَعْتُ بَعِيرًا فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى أَتَيْتُ الشَّامَ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ أن جَابِرًا عَلَى الْبَابِ، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيَّ الرَّسُولُ فَقَالَ: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ؟، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيَّ فَاعْتَنَقَنِي وَاعْتَنَقْتُهُ، قَالَ: قُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَظَالِمِ لَمْ أَسْمَعْهُ فَخَشِيتُ أَنْ أَمُوتُ أَوْ تَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ.

وذكر كذلك عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: خَرَجَ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَهُوَ بِمِصْرَ يَسْأَلُهُ عَنْ حَدِيثٍ، سَمِعَهُ مِنْ، رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمَ أَتَى مَنْزِلَ مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ الْأَنْصَارِيِّ، وَهُوَ أَمِيرُ مِصْرَ فَأُخْبِرَ بِهِ فَعَجِلَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَعَانَقَهُ، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟ قَالَ: حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ سَمِعَهُ غَيْرِي وَغَيْرُ عُقْبَةَ فَابْعَثْ مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى مَنْزِلِهِ، قَالَ: فَبَعَثَ مَعَهُ مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى مَنْزِلِ عُقْبَةَ، فَأُخْبِرَ عُقْبَةُ بِهِ فَعَجِلَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَعَانَقَهُ، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟ فَقَالَ: حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ سَمِعَهُ غَيْرِي وَغَيْرُكَ فِي سِتْرِ الْمُؤْمِنِ. قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا عَلَى خُرْبَةٍ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» فَقَالَ لَهُ أَبُو أَيُّوبَ: صَدَقْتَ، ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَمَا أَدْرَكَتْهُ جَائِزَةُ مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ إِلَّا بِعَرِيشِ مِصْرَ. اهـ

وقال ابن مفلح المقدسي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٥١):

وَقَالَ أَبُو الْحَارِثِ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ فَتَرَى الرَّجُلَ أَنْ يَرْحَلَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ قَالَ نَعَمْ قَدْ رَحَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: إنْ كُنْتُ لَأُسَافِرُ مَسِيرَةَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ فِي الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ. وَقَالَ أَبُو قِلَابَةَ: لَقَدْ أَقَمْتُ بِالْمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مَا لِي حَاجَةٌ إلَّا رَجُلٌ يَقْدَمُ عِنْدَهُ حَدِيثٌ فَأَسْمَعُهُ. وَعَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَافَرَ مِنْ أَقْصَى الشَّامِ إلَى أَقْصَى الْيَمَنِ فَسَمِعَ كَلِمَةً تَنْفَعُهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ مِنْ أَمْرِهِ مَا رَأَيْتُ سَفَرَهُ ضَاعَ.

وقال ابن سعد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الطبقات الكبرى (٢/ ٢٦٢):

قَالَ ابن مسعود: وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ لَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الإِبِلُ لأَتَيْتُهُ.

وروى أيضًا في الطبقات الكبرى (٢/ ٢٩١):

عن سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ قَالَ: إِنْ كُنْتُ لأَسِيرُ اللَّيَالِيَ وَالأَيَّامَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ.

وقال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري (١/ ١٧٥):

وأخرج الخطيب عن أبي العالية قال: كنا نسمع عن أصحاب رسول الله ﷺ فلا نرضى حتى خرجنا إليهم فسمعنا منهم. وقيل لأحمد رجل يطلب العلم يلزم رجلًا عنده علم كثير أو يرحل؟ قال: يرحل يكتب عن علماء الأمصار، فيشافه الناس ويتعلم منهم.

وروى الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرحلة في طلب الحديث (ص: ٩١):

عن أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَطْلَبَ لِلْعِلْمِ مِنْهُ رَحَلَ إِلَى الْيَمَنِ، وَإِلَى مِصْرَ، وَإِلَى الشَّامِ، وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَكَانَ مِنْ رُوَاةِ الْعِلْمِ، وَأَهْلِ ذَلِكَ كَتَبَ عَنِ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ كَتَبَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَهْدِيِّ، وَعَنِ الْفَزَارِيِّ، وَجَمَعَ أَمْرًا عَظِيمًا).

وقد ذكر الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ المقصود من الرحلة في طلب العلم.

فقال في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٢٢٣):

الْمَقْصُودُ فِي الرِّحْلَةِ فِي الْحَدِيثِ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا تَحْصِيلُ عُلُوِّ الْإِسْنَادِ وَقِدَمِ السَّمَاعِ، وَالثَّانِي لِقَاءُ الْحُفَّاظِ وَالْمُذَاكَرَةُ لَهُمْ وَالِاسْتِفَادَةُ عَنْهُمْ. فَإِذَا كَانَ الْأَمْرَانِ مَوْجُودَيْنِ فِي بَلَدِ الطَّالِبِ وَمَعْدُومَيْنِ فِي غَيْرِهِ فَلَا فَائِدَةَ فِي الرِّحْلَةِ، وَالِاقْتِصَارُ عَلَى مَا فِي الْبَلَدِ أَوْلَى.

النساء وطلب العلم

طلب العلم كما يكون في حق الرجال يكون أيضًا في حق النساء؛ فالنساء شقائق الرجال، كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

فقد روى الترمذي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه (١١٣):

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: ((إن النساء شقائق الرجال))،وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

فالمرأة يجب عليها أن تتعلم أمر دينها وما يجب عليها.

وقد روى ابن ماجة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه (٢٢٤):

من حديث أنس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»، وصححه الألباني.

وقد حث ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى النساء على تعلم الدين **فقال الله تعالى:** ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الأحزاب: ٣٤].

قال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره "تيسير الكريم الرحمن" (ص: ٦٦٤):

ولما أمرهن بالعمل، الذي هو فعل وترك، أمرهن بالعلم، وبين لهن طريقه، فقال: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ والمراد بآيات الله، القرآن. والحكمة، أسراره. وسنة رسوله. وأمرهن بذكره، يشمل ذكر لفظه، بتلاوته، وذكر معناه، بتدبره والتفكر فيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وذكر العمل به وتأويله. اهـ

وقد قال ابن حزم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٣/ ٨٢):

وفرض على كل امرأة التفقة في كل ما يخصها كما ذلك فرض على الرجال ففرض على ذات المال منهن معرفة أحكام الزكاة وفرض عليهن كلهن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصوم وما يحل وما يحرم من المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك كالرجال ولا فرق ولو تفقهت امرأة في علوم الديانة للزمنا قبول نذارتها وقد كان ذلك فهؤلاء أزواج النبي ﷺ وصواحبه قد نقل عنهن أحكام الدين وقامت الحجة بنقلهن ولا خلاف بين أصحابنا وجميع أهل نحلتنا في ذلك فمنهن سوى أزواجه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أم سليم وأم حرام وأم عطية وأم كرز وأم شريك وأم الدرداء وأم خالد وأسماء بنت أبي بكر وفاطمة بنت قيس ويسرة وغيرهن ثم في التابعين عمرة وأم الحسن والرباب وفاطمة بنت المنذر وهند الفراسية وحبيبة بنت ميسرة وحفصة بنت سيرين وغيرهن.

و قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب النساء وما يتعلق بهن:

المرأة شخص مكلف كالرجل. فيجب عليها طلب علم الواجبات عليها؛ لتكون من أدائها على يقين فإن كان لها أب أو أخ أو محرم يعلمها الفرائض، ويعرفها كيف تؤدي الواجب؛ كفاها ذلك. وإن لم يكن سألت، وتعلمت. اهـ

ولقد حرصت النساء على تعلم العلم، وعلى أن يجعل لهن النبي ﷺ يومًا يعلمهن فيه.

وقد بوب الإمام البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم) وذكر حديث رقم (١٠١) فقال:

حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثني ابن الأصبهاني، قال: سمعت أبا صالح ذكوان، يحدث عن أبي سعيد الخدري قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: «**ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها، إلا كان لها حجابا من النار**» فقالت امرأة: واثنتين؟ فقال: «**واثنتين**».

قال ابن بطال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرح صحيح البخاري (١/ ١٧٨):

وفيه: سؤال النساء عن أمر دينهن، وجواز كلامهن مع الرجال في ذلك، فيما لهن الحاجة إليه. وقد أخذ العلم عن أزواج النبي ﷺ، وعن غيرهن من نساء السلف. اهـ

وقال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح صحيح البخاري:

وفي هذا الحديث من الفوائد:

أولًا: حرص نساء الصحابة على العلم. **اهـ**

وقد كان النبي ﷺ يعظ النساء ويعلمهن.

وقد بوب الإمام البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (١/ ٣١)، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن وذكر حديث رقم (٩٨) فقال:

حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا شعبة، عن أيوب، قال: سمعت عطاء، قال: سمعت ابن عباس، قال: أشهد على النبي ﷺ -أو قال عطاء: أشهد على ابن عباس: أن رسول الله ﷺ- «**خرج ومعه بلال، فظن أنه لم يسمع فوعظهن**

وأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم، وبلال يأخذ في طرف ثوبه».

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري (١/ ١٩٢):

نبه بهذه الترجمة على أن ما سبق من الندب إلى تعليم الأهل ليس مختصا بأهلهن بل ذلك مندوب للإمام الأعظم ومن ينوب عنه واستفيد الوعظ بالتصريح من قوله في الحديث فوعظهن وكانت الموعظة بقوله إني رأيتكن أكثر أهل النار لأنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير واستفيد التعليم من قوله وأمرهن بالصدقة كأنه أعلمهن أن في الصدقة تكفيرا لخطاياهن. **اهـ**

وبوب البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا في صحيحه (١/ ٣١) باب تعليم الرجل أمته وأهله حديث رقم (٩٧) فقال:

أخبرنا محمد هو ابن سلام، حدثنا المحاربي، قال: حدثنا صالح بن حيان، قال: قال عامر الشعبي: حدثني أبو بردة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب، آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران**».

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري لابن حجر (١/ ١٩٠):

مطابقة الحديث للترجمة في الأمة بالنص وفي الأهل بالقياس إذ الاعتناء بالأهل الحرائر في تعليم فرائض الله وسنن رسوله آكد من الاعتناء بالإماء. **اهـ**

وروى أبو داود في سننه (٣٨٨٧):

عن الشفاء بنت عبد الله، قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي: «**ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة**» **وصححه الألباني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ وانظر الصحيحة (١٧٨).**

ولم يكن الحياء يمنع النساء من التفقه في الدين.

فقد روى مسلم في صحيحه (٣٣٢) فقال:

حدثنا محمد بن المثنى، وابن بشار، قال ابن المثنى: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن إبراهيم بن المهاجر، قال: سمعت صفية، تحدث عن عائشة، أن أسماء سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض؟ فقال: «**تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها، فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدًا حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها**» فقالت أسماء: وكيف تطهر بها؟ فقال: «**سبحان الله، تطهرين بها**» فقالت عائشة: كأنها تخفي ذلك تتبعين أثر الدم، وسألته عن غسل الجنابة؟ فقال: «**تأخذ ماء فتطهر فتحسن الطهور أو تبلغ الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تفيض عليها الماء**» **فقالت عائشة: "نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.**

وكم روت لنا أمهات المؤمنين من الأحاديث، وكم نقل عنهن من العلم. وهذه أم المؤمنين عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا كانت أعلم نساء الأمة، وربما رجع إليه بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فيما أشكل عليهم.

روى الترمذي في سننه (٣٨٨٣) ،عن أبي موسى، قال:

ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا.

وقال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٣٣):

وقال أبو الضّحى، عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الأكابر يسألونها عن الفرائض. وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيا في العامة.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة. وقال أبو بردة بن أبي موسى، عن أبيه: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علمًا. وقال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل. اهـ

وهكذا عمرة بنت عبد الرحمن كانت من أعلم الناس بحديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وقد قال الفسوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المعرفة والتأريخ (١/ ٥٥٩): قَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ حَدِيثَ عَائِشَةَ فَعَلَيْكَ بِعَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ فإنها من أعلم الناس بحديث عائشة؛ كانت فِي حِجْرِهَا. اهـ

وروى ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٩):

عن ابن حبان قال: كانت من أعلم الناس بحديث عائشة.

وقال ابن أبي عاصم: ماتت سنة ثلاث ومائة. وقال ابن المديني عن سفيان أثبت حديث عائشة حديث عمرة والقاسم وعروة. وقال شعبة عن محمد بن

عبد الرحمن قال لي عمر بن عبد العزيز ما بقي أحد أعلم بحديث عائشة من عمرة. قال شعبة: وكان عبد الرحمن بن القاسم يسألها عن حديث عائشة. وقال ابن سعد كانت عالمة. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى ابن حزم أن يكتب له أحاديث عمرة. اهـ

وهذه ابنة الإمام مالك كانت تحفظ الموطأ.

قال القاضي عياض -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ١١٦):

قال الزبير، كان لمالك ابنة تحفظ علمه يعني الموطأ. وكان تقف خلف الباب فإذا غلط القارئ نقرت الباب فيفطن مالك فيرد عليه. **اهـ**

حرص الوالدين على تعليم الأولاد

يجب على الأبوين الاهتمام بتعليم أولادهما دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

قال سفيان الثوري، عن منصور، عن رجل، عن علي، -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ يقول: أدبوهم، علموهم. **اهـ**

والنبي ﷺ كان يحرص على تعليم الأولاد الخير.

ومما جاء في ذلك: ما رواه الترمذي في سننه (٢٥١٦): عن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف.

وما رواه البخاري في صحيحه (٥٣٧٦)،فقال:

حدثنا علي بن عبد الله، أخبرنا سفيان، قال الوليد بن كثير: أخبرني أنه سمع وهب بن كيسان، أنه سمع عمر بن أبي سلمة، يقول: كنت غلامًا في حجر رسول

الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**» فما زالت تلك طعمتي بعد

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري (٩/ ٥٢١):

قوله كنت غُلَامًا أي دون البلوغ يقال للصبي من حين يولد إلى أن يبلغ الحلم غلام. **اهـ**

وهكذا حرص العلماء على تعليم أولادهم العلم.

فقد روى الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرف أصحاب الحديث (ص: ٦٦):

عن عَبْدَ اللهِ بْنَ دَاوُدَ، أنه قال: " يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يُكْرِهَ، وَلَدَهُ عَلَى سَمَاعِ الْحَدِيثِ.

وروى أيضًا في شرف أصحاب الحديث (ص: ٦٧):

عن ابْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ، قال: قَالَ لِي أَبِي: «**يَا بُنَيَّ، اطْلُبِ الْحَدِيثَ، فَكُلَّمَا سَمِعْتَ حَدِيثًا، وَحَفِظْتَهُ، فَلَكَ دِرْهَمٌ فَطَلَبْتُ الْحَدِيثَ عَلَى هَذَا**».

وروى أيضًا في شرف أصحاب الحديث (ص: ٦٤):

عن مِسْكِين بن بكير، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ بِالْأَعْمَشِ، وَهُوَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ لَهُ: تُحَدِّثُ هَؤُلَاءِ الصِّبْيَانَ؟ فَقَالَ الْأَعْمَشُ: «**هَؤُلَاءِ الصِّبْيَانُ يَحْفَظُونَ عَلَيْكَ دِينَكَ**».

وروى الخطيب أيضًا في الكفاية في علم الرواية (ص: ٦٠):

عن أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ وَذَكَرَ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ فَقَالَ: أَخْرَجَهُ أَبُوهُ إِلَى مَكَّةَ وَهُوَ صَغِيرٌ فَسَمِعَ مِنَ النَّاسِ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ وَابْنِ أَبِي نَجِيحٍ فِي الْفِقْهِ، لَيْسَ تَضُمُّهُ إِلَى أَحَدٍ ـ يَعْنِي أَقْرَانَهُ ـ إِلَّا وَجَدْتَهُ مُقَدَّمًا".

وجاء في العلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية ابنه عبد الله (٢/ ٨٦):

قال أبو عبد الرحمن: ولما سمع يحيى بن أكثم من ابن المبارك وكان صغيرًا صنع أبوه طعامًا ودعا الناس ثم قال اشهدوا أن هذا سمع من ابن المبارك وهو صغير.

ولم يقتصر الأمر على اهتمام الآباء بتعليم أولادهم العلم، بل ظهر هذا الأمر حتى في جانب الأمهات، فقد ضربت كثير من الأمهات أروع الصور في الحرص على تعليم أبنائهن العلم، حتى صار بعض الأبناء من العلماء والأئمة.

وأضرب لك مثالًا واحدًا في ذلك: أم سفيان الثوري.

فقد قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة الصفوة (٢/ ١١٠): قال وكيع: قالت أم سفيان الثوري لسفيان: يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، وقالت له: يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك.

فالمرأة راعية في بيت زوجها كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

فقد جاء في صحيح البخاري (٨٩٣):

عن عبد الله بن عمر، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها**».

العلم ليس بكثرة الرواية

روى الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الزهد (٨٦٧) (ص: ١٣١):

عن عبدالله بن مسعود قال: "لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةُ".

وروى ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع بيان العلم وفضله (١٣٩٨) (١/ ٧٥٨):

عن مالك قال: «**إِنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَلَكِنَّهُ نُورٌ يَجْعَلُهُ اللهُ فِي الْقُلُوبِ**».

وقال البربهاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح السنة (٩٨) (ص: ٩٩):

واعلم -رحمك الله-: أن العلم ليس بكثرة الرواية [والكتب]، إنما العالم من اتبع العلم والسنن، وإن كان قليل العلم [والكتب] ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة، وإن كان كثير العلم [والكتب].

قال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله في اللآلئ البهية شرح الفواكه الجنية عند كلام البربهاري: بين أن العلم هو الاتباع، فمن كان قليل العلم وهو متبع غير مبتدع فذلك العالم حقيقة، ومن كان كثير العلم كثير الرواية وكثير الكتب له المؤلفات الكثيرة وله الروايات الكثيرة وهو صاحب هوى هذا ما عنده العلم الحقيقي، فإن العلم النافع هو الذي يورث الاتباع، أما العلم مع البدعة فهو وبال على صاحبه ،ضرره عليه أكثر من نفعه. اهـ

قال أبو نعيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٢٣):

سمعت أحمد بن محمد يقول: سمعت أبا الحسن، يقول: سمعت الربيع، يقول: **سمعت الشافعي**، مرارًا كثيرة يقول: "ليس العلم ما حفظ. العلم ما نفع".

عدم حرص طالب العلم على الشهرة

يجب على طالب العلم أن يحرص في طلبه للعلم على الإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يبتغي بذلك وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وألا يريد بذلك الشهرة، وحب الظهور؛ فإن ذلك يضره ولا ينفعه، وكما قيل حب الظهور يقصم الظهور.

وقد روى الإمام مسلم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه، (١٥٢ -(١٩٠٥):

عن سليمان بن يسار، قال: تفرق الناس عن أبي هريرة، فقال له ناتل أهل الشام: أيها الشيخ، حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ، قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟**

قال: قاتلت فيك حتى استشهدت.

قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟

قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن.

قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟

قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك.

قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار».

وتأمل إلى هذا التابعي الجليل أويس القرني **الذي قال عنه النبي** ﷺ: «**إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم**» رواه مسلم (٢٢٤ -(٢٥٤٢) عن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كيف كان حريصًا على كتم حاله وعدم حبه للظهور.

فقد روى مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٩)،[٢٢٥ -(٢٥٤٢)]، **فقال:**

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ومحمد بن المثنى، ومحمد بن بشار، -قال إسحاق أخبرنا، وقال الآخران: حدثنا واللفظ لابن المثنى -حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن زرارة بن أوفي، عن أسير بن جابر، قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم، قال سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**» فاستغفر لي، فاستغفر له، فقال له عمر: أين تريد؟ قال:

الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي. قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس، قال: تركته رث البيت، قليل المتاع، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه، إلا موضع درهم له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**» فأتى أويسًا فقال: استغفر لي، قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح، فاستغفر لي، قال: استغفر لي، قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح، فاستغفر لي، قال: لقيت عمر؟ قال: نعم، فاستغفر له، ففطن له الناس، فانطلق على وجهه، قال أسير: وكسوته بردة، فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردة.

قال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح صحيح مسلم (١٦/ ٩٥):

قوله (أكون في غبراء الناس أحب إلي) هو بفتح الغين المعجمة وبإسكان الموحدة وبالمد أي ضعافهم وصعاليكهم وأخلاطهم الذين لا يؤبه لهم وهذا من إيثار الخمول وكتم حاله. اهـ

وإليك نبذة يسيرة من حياة هؤلاء الأعلام الذين كانوا يكرهون الشهرة ولا يحبون الظهور.

وروى النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بستان العارفين (ص: ٣٠):

عن الإمام أبي عبد الله **محمد بن إدريس الشافعي** بالإسناد الصحيح أنه قال: وددت أن الخلق تعلموا هذا على أن لا ينسب إلى حرف منه.

وقال الشافعي أيضًا: ما ناظرت أحدًا قط على الغلبة، ووددت إذا ناظرت أحدًا أن يظهر الحق على يديه. اهـ

وروى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٦):

عن الإمام أحمد أنه قال: وَلَوْ وَجَدتُ السَّبيلَ، لَخَرجتُ حَتَّى لاَ يَكُوْنَ لِي ذِكْرٌ.

وَقَالَ: أُرِيْدُ أَنْ أَكُوْنَ فِي شِعْبٍ بِمَكَّةَ حَتَّى لاَ أُعرَفَ، قَدْ بُليتُ بِالشُّهرَةِ.اهـ

وروى ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٧/ ٨٤):

عن أبي المغيرة، عن صفوان بن عمر، قال: كان خالد بن معدان إذا عظمت حلقته قام فانصرف، قيل لصفوان: ولم كان يقوم؟ قال: كان يكره الشهرة.

وروى الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تاريخ بغداد (٣/ ٢٨٣):

عن ثابت البناني، قَالَ: قَالَ لي محمد بن سيرين: يا أبا محمد إنه لم يكن يمنعني من مجالستكم إلا مخافة الشهرة.

وقال الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠١): قَالَ شُعْبَةُ: قَالَ أَيُّوْبُ: ذُكِرْتُ، وَلاَ أُحِبُّ أَنْ أُذْكَرَ.

قَالَ حَمَّادُ بنُ زَيْدٍ: كَانَ لأَيُّوْبَ بُرْدٌ أَحْمَرُ يَلْبَسَه إِذَا أَحرَمَ، وَكَانَ يُعِدُّه كَفَنًا، وَكُنْتُ أَمشِي مَعَهُ، فَيَأْخُذُ فِي طُرُقٍ، إِنِّي لأَعجَبُ لَهُ كَيْفَ يَهتَدِي لَهَا فِرَارًا مِنَ النَّاسِ أَنْ يُقَالَ هَذَا أَيُّوْبُ.

وَقَالَ شُعْبَةُ: رُبَّمَا ذَهَبتُ مَعَ أَيُّوْبَ لِحَاجَةٍ، فَلاَ يَدَعُنِي أَمشِي مَعَهُ، وَيَخْرُجُ من ها هنا ها هُنَا، لَكِي لاَ يُفطَنَ لَهُ.

وروى ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٩/ ١٠٠):

عن يوسف بن زكريا قال: كان محمد بن يوسف لا يشتري زاده من خباز واحد ولا من بقال واحد، قَالَ: لعلهم يعرفوني فيحابوني، فأكون ممن يعيش بدينه.

وروى أبو نعيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ١٣٨):

عن رجاء بن أبي سلمة، قال: نبئت أن ابن محيريز، دخل على رجل من البزازين يشتري منه ثَوْبًا فقال له رجل: أتعرف هذا؟ هذا ابن محيريز، فقام وقال: إنما جئنا نشتري بدراهمنا وليس بديننا. **اهـ**

فانظر كيف كانوا يحرصون على عدم الظهور، وعدم الشهرة، وأما من أراد الشهرة وأراد أن يعرفه الناس فهذا ما صدْق الله، كما قال إبراهيم بن أدهم.

فقد روى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٩٣):

عن عبد الرحمن بن مَهْدِيٍّ: عَنْ طَالُوْتَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيْمَ بنَ أَدْهَم يَقُوْلُ: مَا صَدَقَ اللهَ عَبْدٌ أَحَبَّ الشُّهْرَةَ.

وروى ابن أبي الدنيا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التواضع والخمول (ص: ٦٣):

عن أَيُّوبَ قال: "مَا صَدَقَ اللهَ عَبْدٌ إِلَّا سَرَّهُ أَنْ لَا يُشْعَرَ بِمَكَانِهِ".

وروى أيضًا في التواضع والخمول (ص: ٦٤):

عن محمد بن العلاء قال: مَنْ أَحَبَّ اللهَ أَحَبَّ أَنْ لَا يَعْرِفَهُ النَّاسُ».

وروى أيضًا في التواضع والخمول (ص: ٩٥):

عن بشر بن الْحَارِثِ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَحَبَّ أَنْ يُعْرَفَ إِلَّا ذَهَبَ دِينُهُ وَافْتَضَحَ**».

وَقَالَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ: «**لَا يَجِدُ حَلَاوَةَ الْآخِرَةِ رَجُلٌ يُحِبُّ أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ**».

وروى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣١):

عن أبي عثمان بن الحداد قال: مَا صَدَّ عَنِ اللهِ مِثْلُ طلب المَحَامِد، وَطلب الرِّفعَة.

وروى أيضًا في سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٠٠):

عن الفضيل أنه قال: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُذْكَرَ لَمْ يُذْكَرْ، وَمَنْ كَرِهَ أَنْ يُذْكَرَ ذُكِرَ". **اهـ**

فيتبين لنا مما سبق أن الذي يطلب العلم لله لا يحب الظهور.

وقد وروى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٩٤):

عن إِبْرَاهِيْمَ بن أَدْهَمَ قال: مَنْ طَلَبَ العِلْمَ للهِ، كَانَ الخُمُوْلُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ التَّطَاوُلِ. **اهـ**

وقد كان السلف رحمهم الله يحذرون من الحرص على الشهرة.

فقد روى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٦/ ٦٤٠):

عن ابْن المُبَارَكِ: قَالَ لِي سُفْيَانُ: إِيَّاكَ وَالشُّهْرَةَ فَمَا أتيت أحدًا إِلَّاوَقَدْ نَهَى عَنِ الشُّهرَةِ.

وروى ابن أبي الدنيا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التواضع والخمول(ص: ٤٣)، عن الفضيل أنه قال:

إِنْ قَدَرْتَ أَنْ لَا تُعْرَفَ فَافْعَلْ، وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا تُعْرَفَ، وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يُثْنَى عَلَيْكَ، وَمَا عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مَذْمُومًا عِنْدَ النَّاسِ إِذَا كُنْتَ مَحْمُودًا عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ". اهـ

ومن العجيب أن بعض الناس يريد الشهرة ولو ذكر بأمر غير محمود .

فقد قال جلال الدين السيوطي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بغية الوعاة (١/ ٤٩٦):

وَلما صنف الْخَطِيب الْبَغْدَادِيّ تَارِيخه قَالَ ابْن الْبناء: ذَكرنِي الْخَطِيب بِالصّدقِ أَو بِالْكَذِبِ؟ قَالُوا: مَا ذكرك أصلًا، قَالَ: ليته ذَكرنِي وَلَو فِي الْكَذَّابين.

وروى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٧٤):

عن القطفي فَقَالَ: كَانَ مِنْ كِبَارِ الحنَابلَة[1] قِيْلَ: إِنَّهُ قَالَ: هَلْ ذَكَرَنِي الخطيب في "تَارِيخ بَغْدَاد" فِي الثِّقَات أَوْ مَعَ الكَذَّابين؟ قيل: ما ذكر أَصلًا. فَقَالَ: ليتَه ذَكَرَنِي وَلَوْ مَعَ الكَذَّابين. اهـ

ولا يدخل في هذا الباب ثناء الناس على العبد من دون تعرضه لمدحهم وثنائهم .

فقد روى الإمام مسلم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه، (١٦٦ -(٢٦٤٢):

عن أبي ذر، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**».

قال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٨٩):

قال العلماء: ومعناه هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له فيحببه إلى الخلق كما سبق في الحديث ثم يوضع له القبول في الأرض هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم وإلا فالتعرض مذموم. اهـ

---

(١) الحسن بن أحمد بن البناء.

فإذا فعل العبد الخير ثم حصلت له الشهرة من دون أن يبحث عنها فلا حرج في ذلك.

وختامًا أذكركم بما رواه الإمام مسلم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٥٩٧) (٢٩٦٥):

وعن سعد بن أبي وقاص -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**».

قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٢٤٨):

والإشارة بالخفي إلى خمول الذكر، والغالب على الخامل السلامة. اهـ

وقال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح رياض الصالحين (٣/ ٥١١):

الخفي: هو الذي لا يظهر نفسه، ولا يهتم أن يظهر عند الناس، أو يشار إليه بالبنان، أو يتحدث الناس عنه، تجده من بيته إلى المسجد، ومن مسجده إلى بيته، ومن بيته إلى أقاربه وإخوانه خفي، يخفي نفسه.

ولكن لا يعني ذلك أن الإنسان إذا أعطاه الله علمًا أن يتقوقع في بيته ولا يعلم الناس، هذا يعارض التقى، فتعليمه الناس خير من كونه يقبع في بيته ولا ينفع الناس بعلمه، أو يقعد في بيته ولا ينفع الناس بماله.

لكن إذا دار الأمر بين أن يلمع نفسه ويظهر نفسه ويبين نفسه، وبين أن يخفيها، فحينئذ يختار الخفاء، أما إذا كان لا بد من إظهار نفسه فلا بد أن يظهرها، هذا ممن يحبه الله عَزَّوَجَلَّ. اهـ

فلا ينبغي للإنسان أن يترك فعل الخير، ونشره، خوفًا من الشهرة، بل يفعل الخير وينشره، ويبتغي بذلك وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

قول طالب العلم لما لا يعلم لا أدري

ينبغي لطالب العلم أن يقول لما لا يعلم لا أعلم؛ فالملائكة عليهم السلام لما سألهم ربهم قالوا لا علم لنا، كما أخبرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم، **فقال تعالى:** ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢].

قال القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (١/ ٢٨٥):

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ﴾ **فيه ثلاث مسائل:**

الأولى: قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي تنزيها لك عن أن يعلم الغيب أحد سواك. وهذا جوابهم عن قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ فأجابوا أنهم لا يعلمون إلا ما أعلمهم به ولم يتعاطوا ما لا علم لهم به كما يفعله الجهال مَنًا. و﴿مَا﴾ في ﴿مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ﴾ بمعنى الذي، أي إلا الذي علمتنا، ويجوز أن تكون مصدرية بمعنى إلا تعليمك إيانا.

الثانية: الواجب على من سئل عن علم أن يقول إن لم يعلم: الله أعلم ولا أدري، اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء، لكن قد أخبر الصادق أن بموت العلماء يقبض العلم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون. **اهـ**

وقد قال وكيع -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اخبار القضاة (٢/ ٤٢٢):

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْن أبي الدنيا، قال: حَدَّثَنِي أَبُو صالح زاج، قال: سمعت أبا وهب مُحَمَّد بْن مزاحم يقول: قيل للشعبي، أما تستحي من كثرة ما تسأل، فتقول لا أدري، قال: أكثر ملائكة الله المقربين لم يستحيوا حَيْثُ سئلوا عما لا يعلمون، أن: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢] . اهـ

والنبي ﷺ كان ربما يسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء. وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه البخاري (٩/ ١٠٠):

باب ما كان النبي ﷺ يسأل مما لم ينزل عليه الوحي، فيقول: «**لا أدري**»، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي، ولم يقل برأي ولا بقياس لقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال ابن مسعود: سئل النبي ﷺ عن الروح فسكت حتى نزلت الآية .

وروى البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثا في هذا الباب رقم (٧٣٠٩) فقال:

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، قال: سمعت ابن المنكدر، يقول: سمعت جابر بن عبد الله، يقول: مرضت فجاءني رسول الله ﷺ يعودني، وأبو بكر، وهما ماشيان فأتاني وقد أغمي علي، فتوضأ رسول الله ﷺ، ثم صب وضوءه علي، فأفقت، فقلت: يا رسول الله، -وربما قال سفيان فقلت: أي رسول الله- كيف أقضي في مالي؟ كيف أصنع في مالي؟ قال: فما أجابني بشيء حتى نزلت: «**آية الميراث**».

وقال ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٥٨):

(فَصْلٌ فِي قَوْلِ الْعَالِمِ لَا أَدْرِي وَاتِّقَاءِ التَّهَجُّمِ عَلَى الْفَتْوَى):

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إذَا تَرَكَ الْعَالِمُ لَا أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ وَكَذَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ، **وَقَالَ مَالِكٌ:** كَانَ يُقَالُ إذَا أَغْفَلَ الْعَالِمُ لَا أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ، **وَقَالَ أَيْضًا:** كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إمَامَ الْمُسْلِمِينَ وَسَيِّدَ الْعَالَمِينَ يُسْأَلُ عَنْ الشَّيْءِ فَلَا يُجِيبُ، حَتَّى يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ مِنْ السَّمَاءِ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: لَا أَدْرِي نِصْفَ الْعِلْمِ. اهـ

وهكذا الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومن بعدهم من أئمة الدين ربما سئل أحدهم عن شيء فقال لا أعلم. فقد قال ابن سعد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الطبقات الكبرى (٤/ ١٧٠):

أخبرنا أحمد بن محمد الأزرقي قال: حدثنا عمرو بن يحيى، عن جده قال: سئل ابن عمر عن شيء، فقال: لا أدري، فلما ولى الرجل، أفتى نفسه، فقال: أحسن ابن عمر سئل عما لا يعلم، فقال: لا أعلم.

وقال أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي[(١)]:

ذَكَرَ الدُّولابِيُّ قَالَ: نَا جَعْفَر ابْن مُحَمَّدٍ، قَالَ: نَا أَحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ، قَالَ: سَمِعت عبد الرحمن بن مهْدي يَقُولُ: سَأَلَ رَجُلٌ مَالِكًا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَذَكَرَ أَنَّهُمْ أَرْسَلُوهُ يَسْأَلُهُ عَنْهَا مِنْ مَسِيرَةِ سِتَّةِ أشهر، قَالَ: فَأخْبر الذى أرسلك إنى **لا علم لِي بِهَا،** قَالَ: وَمَنْ يَعْلَمُهَا قَالَ: مَنْ علمه الله قَالَ: عبد الرحمن قَالَتِ

---

(١) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص: ٣٧).

الْمَلائِكَةُ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾، حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ قَاسِمٍ، قَالَ: نَا أَبُو الْمَيْمُونِ، قَالَ: نَا أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ، قَالَ: نَا الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ، قَالَ: نَا الْهَيْثَمُ بْنُ جَمِيلٍ، قَالَ: شَهِدْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ سُئِلَ عَنْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً، فَقَالَ فِي اثْنَتَيْنِ وَثَلاثِينَ مِنْهَا لَا أَدْرِي، وَرُوِّينَا عَنْ خَالِدِ بْنِ خِدَاشٍ أَنَّهُ قَالَ قَدِمْتُ عَلَى مَالِكٍ مِنَ الْعِرَاقِ بِأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً، فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا، فَمَا أَجَابَنِي مِنْهَا إِلا فِي خَمْسِ مَسَائِلَ، وَقَالَ: كَانَ ابْنُ عَجْلانَ يَقُولُ إِذَا أَخْطَأَ الْعَالِمُ لَا أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ، وَقَدْ رُوِيَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَن مَالك بن أنس قَالَ: سَمِعت عبد الله بْنَ يَزِيدَ بْنِ هُرْمُزَ يَقُولُ يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يُورِثَ جُلَسَاءَهُ قَوْلَ لَا أَدْرِي، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ أَصْلًا فِي أَيْدِيهِمْ يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ، فَإِذَا سُئِلَ أَحَدُهُمْ عَمَّا لَا يَدْرِي قَالَ لَا أَدْرِي، قَالَ أَبُو عُمَرَ: صَحَّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ لَا أَدْرِي نِصْفُ الْعِلْمِ.

قال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله في "اللآلئ البهية شرح الفواكة الجنية":

ويقول ابن وهب وهو من طلاب الإمام مالك: (ولو كتبنا ما سئل عنه الإمام مالك فقال: لا أدري، لملأنا الألواح)، وهذا مع سعة علمه، ومعلوم من هو الإمام مالك ومع هذا كان يقول ويكثر من قوله: لا أدري. اهـ

فقول: لا أدري نصف العلم كما قال العلماء.

فقد روى البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص: ٤٣٥) برقم (٨١٠)، والدارمي في سننه (١/ ٢٧٦) رقم (١٨٦)، والذهبي في السير (٥/ ١٨٤):

عن الشَّعْبِيِّ قال: "لَا أَدْرِي نِصْفُ الْعِلْمِ".

وقال الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تاريخ بغداد (١٥/ ٥٣٤):

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: قَالَ إِسْحَاقُ: قَالَ يَحْيَى بْنُ آدَمَ: وَذُكِرَ لأَبِي حَنِيفَةَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: لا أَدْرِي نِصْفَ الْعِلْمِ، قَالَ: فَلْيَقُلْ مَرَّتَيْنِ لا أَدْرِي حَتَّى يَسْتَكْمِلَ الْعِلْمَ، قَالَ يَحْيَى: وَتَفْسِيرُ قَوْلِهِ لا أَدْرِي نِصْفَ الْعِلْمِ، لأَنَّ الْعِلْمَ إِنَّمَا هُوَ أَدْرِي وَلا أَدْرِي فَأَحَدُهُمَا نِصْفُ الآخَرِ. اهـ

بل يعد من علم الرجل أن يقول لما لا يعلم الله أعلم.

فقد قال ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٥٨):

وَقَالَ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ الْمَرُّوذِيِّ كَانَ مَالِكٌ يُسْأَلُ عَنْ الشَّيْءِ فَيُقَدِّمُ وَيُؤَخِّرُ يَثْهَتُ وَهَؤُلَاءِ يَقِيسُونَ عَلَى قَوْلِهِ وَيَقُولُونَ قَالَ مَالِكٌ. وَبِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ مِنْ عِلْمِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ " اللهُ أَعْلَمُ " لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

عفة طالب العلم

ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بهذا الخلق العظيم -خلق العفة- فلا يسأل الناس لا تصريحا ولا تلميحا، بل عليه أن يتعفف. وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله**»، **رواه البخاري عن حكيم بن حزام.**

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري (١١/ ٣٠٤):

وقال القرطبي: معنى قوله من يستعف أي: يمتنع عن السؤال وقوله يعفه الله أي إنه يجازيه على استعفافه بصيانة وجهه ودفع فاقته وقوله ومن يستغن أي بالله عمن سواه وقوله يغنه أي فإنه يعطيه ما يستغني به عن السؤال ويخلق في قلبه الغنى فإن الغنى غنى النفس. **اهـ**

وقال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري (١١/ ٣٠٥):

وقال ابن التين: معنى قوله يعفه الله إما أن يرزقه من المال ما يستغني به عن السؤال وإما أن يرزقه القناعة والله أعلم. **اهـ**

وقد كان النبي ﷺ متعففًا مع شدة حاجته فقد **روى مسلم في صحيحه (٢٩٧٨)**: عن سماك بن حرب، قال: سمعت النعمان، يخطب قال: ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: «**لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي، ما يجد دقلا يملأ به بطنه**». **(والدقل: هو رديء التمر).**

وروى الترمذي في سننه (٢٣٦٠) عن ابن عباس، قال: (كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير). وحسنه الألباني. **(والطاوي: هو الجائع خالي البطن).**

وهكذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ متعففون مع شدة حاجتهم.

فقد روى الترمذي -رَحِمَهُ اللَّهُ في سننه (٢٣٦٨): عن فضالة بن عبيد، أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى تقول الأعراب هؤلاء مجانين أو مجانون، فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم، فقال: لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة قال فضالة: وأنا يومئذ مع رسول الله ﷺ.

وهكذا يجب على طلبة العلم وأهل العلم أن يكونوا متعففين.

وقد قال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله تعالى في كتابه التحفة في ذم المسألة وفضل العفة أقول: إن أحق الناس بالتنزه عن المسألة هم أهل العلم الذين يدعون الناس إلى دين الله تعالى، وذلك أن سؤال الناس أموالهم سبب من أسباب نفور الناس عمن يدعوهم إلى الخير، وذلك لأمرين: **الأول**: ان المال محبوب للنفوس كما قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠] .

إلى أن قال حفظه الله والآخر: أن الداعي إلى الله تعالى إذا سأل الناس شيئًا من أموالهم أتهمه الناس في صدْق دعوته وأنه ما دعاهم إلى الله تعالى وإنما دعاهم ليأخذ أموالهم. ولهذا نزه الأنبياء والرسل أنفسهم عن ذلك وكانوا يصرحون لأقوامهم بأنهم لا يريدون منهم شيئًا من الأجر والمال. **(انتهى كلامه مختصرًا).**

وقد قال الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تذكرة الحفاظ (٤/ ٢٨):

قال أبو مسعود عبد الرحيم الحاجي: سمعت بن طاهر يقول: بلت الدم في طلب الحديث مرتين مرة ببغداد ومرة بمكة، كنت أمشي حافيًا في الحر فلحقني ذلك، وما ركبت دابة قط في طلب الحديث، وكنت أحمل كتبي على ظهري، وما سألت في حال الطلب أحدًا، كنت أعيش على ما يأتي.

وقال أيضًا في التذكرة (١/ ١٥٢):

قال يحيى بن يمان سمعت سفيان يقول: العالم طبيب الدين، والدرهم داء الدين، فإذا اجتر الطبيب الداء إليه متى يداوي غيره.

وذكر عبد الرحمن بن أحمد البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٥) أن الحافظ عبد القادر الرهاوي قال عن شيخه الحسن بن أحمد الهمداني:

(وكان عفيفًا من حبِّ المال، مهينًا له، باع جميعَ ما ورثه -وكان من أبناء التُّجار- فأنفقَه في طلب العلمِ، حتى سافر إلى بغداد وأصبهان مرَّات ماشيًا يحمل كتبه على ظهره).

وقال: سمعته يقول: كنت أبيت ببغداد في المساجد، وآكل خبز الدخن.

- **تنبيه:**

هناك رسالة طيبة مفيدة في هذا الباب لمن أراد الاستفادة أكثر بعنوان **(التحفة في ذم المسألة وفضل العفة)** لشيخنا المبارك أبي بكر الحمادي حفظه الله وقد استفدت منها في كتابة هذا الموضوع .

الحياء في العلم

يعتبر الحياء خلق من الأخلاق الحميدة، فينبغي على المسلم أن يتحلى به، وقد عده النبي ﷺ من شعب الإيمان. ولكن لا ينبغي لأحد أن يحمله الحياء على ترك السؤال عما يحتاجه من أمر دينه، بل لا بد أن يسأل ويتعلم ويتفقه في الدين، وإلا كان هذا الحياء مذمومًا؛ حيث يؤدي إلى ضياع العلم، وإلى أن يبقى صاحبه جاهلًا.

وقد بوب الإمام البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (١/ ٣٨)، باب الحياء في العلم:

وقال مجاهد: "لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر» وقالت عائشة: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين".

قال ابن بطال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح صحيح البخاري (١/ ٢١٠):

إنما أراد البخاري بهذا الباب ليبين أن الحياء المانع من طلب العلم مذموم، ولذلك بدأ بقول مجاهد وعائشة، وأما إذا كان الحياء على جهة التوقير والإجلال فهو حسن كما فعلت أم سلمة حين غطت وجهها، وقولها: إن الله لا يستحيي من الحق. اهـ

وقال مسلم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (١/ ٢٦١)(٦١ -(٣٣٢)":

حدثنا محمد بن المثنى، وابن بشار، قال ابن المثنى: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن إبراهيم بن المهاجر، قال: سمعت صفية، تحدث عن عائشة، أن أسماء سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض؟

فقال: «**تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها، فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدًا حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها**».

فقالت أسماء: وكيف تطهر بها؟

فقال: «**سبحان الله، تطهرين بها**».

فقالت عائشة: كأنها تخفي ذلك تتبعين أثر الدم، وسألته عن غسل الجنابة؟

فقال: «**تأخذ ماء فتطهر فتحسن الطهور أو تبلغ الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تفيض عليها الماء**»

فقالت عائشة: "نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين".

وروى البخاري في صحيحه (١٣٠) (١/ ٣٨):

عن أم سلمة، قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله **إن الله لا يستحيي من الحق**، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي ﷺ: «**إذا رأت الماء**» فغطت أم سلمة، تعني وجهها، وقالت: يا رسول الله أو تحتلم المرأة؟ قال: «**نعم، تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها**».

وروى البخاري في صحيحه (١/ ٦٢) (٢٦٩):

عن علي، قال: كنت رجلًا مذاء فأمرت رجلًا أن يسأل النبي ﷺ، لمكان ابنته، فسأل فقال: «**توضأ واغسل ذكرك**».

قال ابن بطال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح صحيح البخاري (١/ ٢١٢):

إنما استحيا علي أن يسأل رسول الله لمكان ابنته، وهذا الحياء محمود، لأنه لا يمتنع به من تعلم ما جهل وبعث من يقوم مقامه في ذلك. اهـ

السؤال من وسائل العلم

يعتبر السؤال وسيلة من وسائل العلم، ومفتاح من مفاتيح العلم، وقد أمرنا ربنا عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم بسؤال أهل العلم، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]

قال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥١٩):

هذه الآية وإن كان سببها خاصًا بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين لأهل الذكر وهم أهل العلم فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه. اهـ

وهذا الصحابي الجليل أبو هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يسأل رسول الله ﷺ كما روى ذلك الإمام البخاري في صحيحه (٩٩) (١/ ٣١):

عن أبي هريرة أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالِصًا من قلبه، أو نفسه**».

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القول المفيد على كتاب التوحيد:

هذا السؤال من أبي هريرة للنبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «**لقد كنت أظن أن لا يسألني أحد غيرك عنه؛ لما أرى من حرصك على العلم**»، وفي هذا دليل على أن من وسائل تحصيل العلم السؤال. اهـ

فعلى المسلم إذا جهل شيئًا من دينه أن يسأل عنه.

قال ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٨/ ٣٣٨):

يلزم كل مومن ومؤمنة إذا جهل شيئًا من دينه أن يسأل عنه. **اهـ**

فالسؤال يعتبر مفتاحا من مفاتيح العلم ومن أسباب إصابة العلم.

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٥):

قَالَ مَكْحُولٌ: قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّى أَصَبْت هَذَا الْعِلْمَ؟ قَالَ: بِلِسَانٍ سَئُولٍ وَقَلْبٍ عَقُولٍ.

وقال في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٦٨):

وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور كما قال مفتاح الصلاة الطهارة ومفتاح الحج الإحرام ومفتاح البر الصدق ومفتاح الجنة التوحيد ومفتاح **العلم حسن السؤال** حسن الإصغاء. **اهـ**

وروى ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٢٠):

عن الزهري قال: الْعِلْمُ خَزَائِنُ وَتَفْتَحُهَا الْمَسْأَلَةُ.

وروى ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٨٠):

عن الخليل قال: «**الْعُلُومُ أَقْفَالٌ وَالسُّؤَالَاتُ مَفَاتِيحُهَا**».

وروى أبو نعيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٣٦٣):

عن الزهري قال: «**كان يصطاد العلم بالمساءلة كما يصطاد الوحش**». **اهـ**

وعلى طالب العلم أن يحسن السؤال فإن ذلك مفتاح العلم كما ذكر ذلك **ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حادي الأرواح فقال:** ومفتاح العلم حسن السؤال حسن الإصغاء.

وقال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري (١/ ١٤٢):

العلم سؤال وجواب ومن ثم قيل حسن السؤال نصف العلم.

وقال أيضًا في فتح الباري (١/ ١٢٥):

قال ابن المنير: في قوله يعلمكم دينكم دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علمًا وتعليما لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال ومع ذلك فقد سماه معلمًا وقد اشتهر قولهم حسن السؤال نصف العلم ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث لأن الفائدة فيه انبنت على السؤال والجواب معًا. **اهـ**

وعلى طالب العلم إذا أراد أن يسأل معلمه أن ينتظر معلمه حتى ينتهي من كلامه ولا يقطع كلام شيخه.

قال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره تيسير الكريم الرحمن (ص:٥١٤):

عند قوله تعالى:﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]، ويؤخذ من هذه الآية الكريمة الأدب في تلقي العلم وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ المملي والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام ملقي العلم فإنه سبب للحرمان، وكذلك المسئول ينبغي له

أن يستملي سؤال السائل، ويعرف المقصود منه قبل الجواب؛ فإن ذلك سبب لإصابة الصواب. اهـ

وقال ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٧٠):

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَمَتَى أَشْكَلَ شَيْءٌ مِنْ الْحَدِيثِ عَلَى الطَّالِبِ صَبَرَ حَتَّى يَنْتَهِي الْحَدِيثُ، ثُمَّ يَسْتَفْهِمُ الشَّيْخَ بِأَدَبٍ وَلُطْفٍ وَلَا يَقْطَعْ عَلَيْهِ فِي وَسَطِ الْحَدِيثِ. **اهـ**

وعلى طالب العلم إذا سأل أن يكون سؤاله للتعلم والتفقه لا للتعنت.

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٦٨): قال بعض أهل العلم: خير خصال الرجل السؤال عن العلم وقيل إذا جلست إلى عالم فسل تفقها لا تعنتا. **اهـ**

وأيضًا مما ينبغي لطالب العلم إذا سأل أن يسأل عما ينفعه.

قال ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٧٠):

وَرَوَى أحمد بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ قَوْمًا كَانُوا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا سَأَلُوا إلَّا عَنْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ مَسْأَلَةً حَتَّى قُبِضَ، كُلُّهُنَّ فِي الْقُرْآنِ **وَمَا كَانُوا يَسْأَلُونَ إِلَّا عَمَّا يَنْفَعُهُمْ.**

المعصية من أسباب حرمان العلم

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ٥٢):

وَلِلْمَعَاصِي مِنَ الْآثَارِ الْقَبِيحَةِ الْمَذْمُومَةِ، الْمُضِرَّةِ بِالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.

فَمِنْهَا: حِرْمَانُ الْعِلْمِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي الْقَلْبِ، وَالْمَعْصِيَةُ تُطْفِئُ ذَلِكَ النُّورَ.

وَلَمَّا جَلَسَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ وُفُورِ فِطْنَتِهِ، وَتَوَقُّدِ ذَكَائِهِ، وَكَمَالِ فَهْمِهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَى اللهَ قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا، فَلَا تُطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي

وَقَالَ اعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ فَضْلٌ ... وَفَضْلُ اللهِ لَا يُؤْتَاهُ عَاصِي

(اهـ)

وروى الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٢٥٨):

عن بشر بن الْحَارِثِ، يَقُولُ: «**إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُلَقَّنَ، الْعِلْمَ فَلَا تَعْصِ**».

وروى ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٧٥):

عن ابن مَسْعُود أنه قالٍ: «**إِنِّي لَأَحْسَبُ أَنَّ الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ قَدْ عَلِمَهُ بِالذَّنْبِ يَعْمَلَهُ**».

وقال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تهذيب التهذيب (١١/ ١٢٩):

وقال علي بن خشرم: رأيت وكيعًا وما رأيت بيده كتابًا قط، إنما هو يحفظ، فسألته عن دواء الحفظ، فقال: ترك المعاصي ما جربت مثله للحفظ.

حرص طالب العلم على جمع الكتب وعدم التفريط فيها

ذكر الإمام الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السير في ترجمة القاضي عبد الرحيم بن علي اللخمي فقال:

وَبَلَغَنَا أَنَّ كُتُبَهُ الَّتِي ملكَهَا بلغَتْ مائَة أَلْفِ مُجَلَّدٍ، وَكَانَ يُحصِّلُهَا مِنْ سَائر البِلاَدِ.

وذكر ابن أبي حاتم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجرح والتعديل (١/ ٣٤٠):

أن أبا زرعة قال خرجت من الري المرة الثانية سنة سبع وعشرين ومائتين، ورجعت سنة اثنتين وثلاثين في أولها، بدأت فحججت ثم خرجت إلى مصر، فأقمت بمصر خمسة عشر شهرًا، وكنت عزمت في بدو قدومي مصر أني أقل المقام بها، فلما رأيت كثرة العلم بها وكثرة الاستفادة عزمت على المقام، ولم أكن عزمت على سماع كتب الشافعي، فلما عزمت على المقام وجهت إلى أعرف رجل بمصر بكتب الشافعي فقبلتها منه بثمانين دِرْهَمًا أن يكتبها كلها وأعطيته الكاغذ، وكنت حملت معي ثوبين ديبقيين؛ لأقطعهما لنفسي، فلما عزمت على كتابتها أمرت ببيعهما، فبيعا بستين دِرْهَمًا، واشتريت مائة ورقة كاغذ بعشرة دراهم كتبت فيها كتبت الشافعي.

وقال ابن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٧):

حدثني الإمام طلحة بن مظفر العلثي قَالَ: بيعت كتب ابن الجواليقي في بغداد، فحضرها الحافظ أَبُو العلاء الهمداني، فنادوا على قطعة منها: ستين دِينَارًا، فاشتراها الحافظ أَبُو العلاء بستين دِينَارًا، والإنظار من يوم الخميس إلى

يوم الخميس. فخرج الحافظ، واستقبل طريق همدان، فوصل فنادى على دار له، فبلغت ستين دِينَارًا. فقال: بيعوا. قالوا: تبلغ أكثر من ذلك. قَالَ: بيعوا. فباعوا الدار بستين دِينَارًا فقبضها، ثم رجع إلى بغداد. فدخلها يوم الخميس، فوفى ثمن الكتب. ولم يشعر أحد بحاله إلا بعد مدة.

وذكر ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ١٣٨) في ترجمة ابن القيم فقال:

وَكَانَ مغرى بِجمع الْكتب فَحصل مِنْهَا مَا لَا يحصر حَتَّى كَانَ أَوْلَاده يبيعون مِنْهَا بعد مَوته دهرا طَوِيلا سوى مَا اصطفوه مِنْهَا لأَنْفُسِهِمْ.

وقال الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقييد العلم (ص: ١٣٦):

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَذْخَرَ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ بِمَعْلُومٍ، وَأَنْ يَسْتَكْثِرَ مِنْهَا، وَلَا يَعْتَقِدَ الْغِنَى عَنْهَا فَإِنَّهُ إِنِ اسْتَغْنَى عَنْهَا فِي حَالٍ احْتَاجَ إِلَيْهَا فِي حَالٍ وَإِنْ سَئِمَهَا فِي وَقْتٍ، ارْتَاحَ إِلَيْهَا فِي وَقْتٍ، وَإِنْ شُغِلَ عَنْهَا فِي يَوْمٍ فَرَغَ لَهَا فِي يَوْمٍ وَأَنْ لَا يُسْرِعَ وَيَعْجَلَ، فَيَنْدَمُ وَيَوْجَلُ، فَرُبَّمَا عَجِلَ الْمَرْءُ عَلَى نَفْسِهِ بِإِخْرَاجِ كِتَابٍ عَنْ يَدِهِ ثُمَّ رَامَهُ فَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ مَرَامُهُ وَابْتَغَى إِلَيْهِ وُصُولًا، فَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَأَتْعَبَهُ ذَلِكَ وَأَنْصَبَهُ وَأَقْلَقَهُ طَوِيلًا وَأَرَّقَهُ كَالَّذِي حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، قَالَ: بِعْتُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ كِتَابًا ظَنَنْتُ أَنِّي لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ هَجَسَ فِي صَدْرِي شَيْءٌ كَانَ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ فَطَلَبْتُهُ فِي جَمِيعِ كُتُبِي فَلَمْ أَجِدْهُ فَاعْتَمَدْتُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ عَالِمًا عِنْدَ الصَّبَاحِ، فَمَا زِلْتُ قَائِمًا عَلَى رِجْلَيَّ إِلَى الصَّبَاحِ، قِيلَ: فَهَلَّا قَعَدْتَ؟ قَالَ: لِطُولِ أَرَقِي وَشِدَّةِ قَلَقِي. وَبَاعَ آخَرُ كِتَابًا ظَنَّ أَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ثُمَّ إِنَّهُ احْتَاجَ إِلَيْهِ فَالْتَمَسَ نُسْخَةً بِهِ فَلَمْ يَجِدْهَا بِعَارِيَةٍ وَلَا

ثَمَنٍ وَكَانَ الَّذِي ابْتَاعَهُ قَدْ خَرَجَ بِهِ إِلَى بَلَدِهِ، فَشَخَصَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ الْإِقَالَةَ وَارْتِجَاعَ الثَّمَنِ مِنْهُ، فَأَبَى عَلَيْهِ فَسَأَلَهُ إِعَارَتَهُ لِنَسْخِ الْكَلِمَةِ مِنْهُ، فَلَمْ يُجِبْهُ فَانْكَفَأَ قَافِلًا، وَآلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَبِيعَ كِتَابًا أَبَدًا، وَبَاعَ آخِرُ كِتَابًا ظَنَّ أَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ثُمَّ إِنَّهُ احْتَاجَ إِلَى كَلِمَةٍ مِنْهُ فَقَصَدَ صَاحِبَهُ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُكْتِبَهُ تِلْكَ الْكَلِمَةَ فَقَالَ: وَاللهِ مَا تَكْتُبُهَا إِلَّا بِثَمَنِ الْكِتَابِ كُلِّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثَمَنَ الْكِتَابِ وَكَتَبَ تِلْكَ الْكَلِمَةَ، وَقِيلَ لِآخَرَ: أَلَا تَبِيعُ مِنْ كُتُبِكَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَيْهَا؟ فَقَالَ: إِنْ لَمْ أَحْتَجْ إِلَيْهَا الْيَوْمَ احْتَجْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ الْيَوْمِ، وَاشْتَرَى رَجُلٌ كِتَابًا فَقِيلَ لَهُ: اشْتَرَيْتَ مَا لَيْسَ مِنْ عِلْمِكَ، فَقَالَ: اشْتَرَيْتُ مَا لَيْسَ مِنْ عِلْمِي لَيَصِيرَ مِنْ عِلْمِي، وَقِيلَ لِآخَرَ: أَلَا تَشْتَرِي كُتُبًا تَكُونُ عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: مَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّنِي لَا أَعْلَمُ، فَقِيلَ: إِنَّمَا يَشْتَرِيهَا مَنْ لَا يَعْلَمُ حَتَّى يَعْلَمَ، وَكَانَ آخِرُ يَشْتَرِي كُلَّ كِتَابٍ يَرَاهُ فَقِيلَ: لَهُ إِنَّكَ لَتَشْتَرِي مَا لَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: رُبَّمَا احْتَجْتُ إِلَى مَا لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ.

العلم مواهب من الله

قال ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٥٦):

[فَصْلٌ الْعِلْمُ مَوَاهِبُ مِنْ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ يُنَالُ بِالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ لَا بِالْحَسَبِ]، **وَقَالَ أَبُو الْحَارِثِ**: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: إنَّمَا الْعِلْمُ مَوَاهِبُ يُؤْتِيهِ اللهُ مَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَيْسَ يَنَالُهُ أَحَدٌ بِالْحَسَبِ، وَلَوْ كَانَ بِالْحَسَبِ كَانَ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. اهـ

وقال أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طبقات الحنابلة (١/ ٣٢٣):

وقال ابن مشيش قال أَحْمَد: العلم مواهب من الله ليس كل أحد يناله.

أثر العلم على صاحبه

لا بد لطالب العلم أن يظهر أثر العلم عليه في استقامته، وفي سلوكه وعبادته، ولقد ذكر العلماء رحمهم الله في هذا الباب أقوالا كثيرة ومن ذلك:

ما رواه الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الزهد (١٤٦٣) (ص: ٢١١):

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: "قَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَطْلُبُ الْعِلْمَ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَرَى ذَلِكَ فِي تَخَشُّعِهِ وَهَدْيِهِ وَفِي لِسَانِهِ وَبَصَرِهِ وَبِرِّهِ ".

وقال ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٤٥):

وَقَالَ مَالِكٌ: إنَّ حَقًّا عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ وَخَشْيَةٌ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِأَثَرِ مَنْ مَضَى قَبْلَهُ.

وقال أيضًا في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٤٥):

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ --رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: زِينَةُ الْعِلْمِ الْوَرَعُ وَالْحِلْمُ **وَقَالَ أَيْضًا:** لَا يَجْمُلُ الْعِلْمُ وَلَا يَحْسُنُ إلَّا بِثَلَاثِ خِلَالٍ: تَقْوَى اللهِ، وَإِصَابَةِ السُّنَّةِ، وَالْخَشْيَةِ.

وقال الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٤٢):

يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْحَدِيثِ أَنْ يَتَمَيَّزَ فِي عَامَّةِ أُمُورِهِ عَنْ طَرَائِقِ الْعَوَّامِ، بِاسْتِعْمَالِ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَمْكَنَهُ، وَتَوْظِيفِ السُّنَنِ عَلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال أيضًا في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٥٦):

يَجِبُ عَلَى طَالِبِ الْحَدِيثِ أَنْ يَتَجَنَّبَ اللَّعِبَ وَالْعَبَثَ وَالتَّبَذُّلَ فِي الْمَجَالِسِ بِالسَّخْفِ، وَالضَّحِكِ، وَالْقَهْقَهَةِ، وَكَثْرَةِ التَّنَادُرِ، وَإِدْمَانِ الْمِزَاحِ وَالْإِكْثَارِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا يُسْتَجَازُ مِنَ الْمِزَاحِ يَسِيرُهُ وَنَادِرُهُ وَطَرِيفُهُ الَّذِي لَا يَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الْأَدَبِ وَطَرِيقَةِ الْعِلْمِ، فَأَمَّا مُتَّصِلُهُ وَفَاحِشُهُ وَسَخِيفُهُ وَمَا أَوْغَرَ مِنْهُ الصُّدُورَ وَجَلَبَ الشَّرَّ؛ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ وَكَثْرَةُ الْمِزَاحِ وَالضَّحِكِ يَضَعُ مِنَ الْقَدْرِ، وَيُزِيلُ الْمُرُوءَةَ

العلم سبب من أسباب الرزق

روى الإمام الترمذي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه (٤/ ٥٧٤) (٢٣٤٥):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا المُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**». وصححه الإمام الألباني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال المباركفوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي:

قوله: (كان أخوان) أي: اثنان من الإخوان، على عهد رسول الله ﷺ أي: في زمنه، فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ أي: لطلب العلم والمعرفة، (والآخر يحترف) أي: يكتسب أسباب المعيشة، فكأنهما كانا يأكلان معًا (فشكا المحترف) أي: في عدم مساعدة أخيه إياه في حرفته وفي كسب آخر لمعيشته، فقال: «**لعلك ترزق به**» بصيغة المجهول، أي: أرجو وأخاف أنك مرزوق ببركته، لا أنه مرزوق بحرفتك، فلا تمنن عليه بصنعتك. اهـ

معاشرة طلاب العلم

قال ابن عقيل الحنبلي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعصمني الله من عنفوان الشبيبة بأنواع من العصمة، وقصر محبتي على العلم وأهله، فما خالطت ملعابًا ولا عاشرت إلا أمثالي من طلبة العلم[١].

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (١٧/ ١٨١).

إقلال طالب العلم من الأكل والشرب والنوم

قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١]

قال البغوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ: قَدْ جَمَعَ اللهُ الطِّبَّ كُلَّهُ فِي نِصْفِ آيَةٍ فَقَالَ: "كلوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا". اهـ

وروى الترمذي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه (٤/ ٥٩٠) رقم (٢٣٨٠):

عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**». وصححه الألباني.

قال ابن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٦٨):

وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها. اهـ

وروى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٤٨):

عن أَبِي عَوَانَةَ الإِسْفَرَايِيْنِي: حَدَّثَنَا الرَّبِيْعُ سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُوْلُ: مَا شَبِعْتُ مُنْذُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً إِلَّا مَرَّةً فَأَدْخَلْتُ يَدِي فَتَقَيَّأْتُهَا.

رَوَاهَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الرَّبِيْعِ وَزَادَ: لأَنَّ الشِّبَعَ يُثْقِلُ البَدَنَ وَيُقَسِّي القَلْبَ، وَيُزِيلُ الفِطْنَةَ، وَيجلِبُ النَّوْمَ وَيُضْعِفُ عَنِ العِبَادَةِ.

وروى أيضًا في سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٠٥):

عن الفضيل بن عياض أنه قال: خَصْلتَانِ تقسِّيان القَلْبَ: كَثْرَةُ الكَلاَمِ، وَكَثْرَةُ الأَكلِ.

وروى أبو نعيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٧٨):

عن عبد الله بن المبارك، قال: قال سفيان الثوري: **"إياكم والبطنة، فإنها تقسي القلب"**.

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بدائع الفوائد (٢/ ٢٧٣):

وأما فضول الطعام فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي ويثقلها عن الطاعات وحسبك بهذين شرًا فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام وكم من طاعة حال دونها فمن وقى شر بطنه فقد وقى شرًا عظيمًا والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام.

إلى أن قال:

ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله ساعة واحدة جثم عليه الشيطان ووعده ومناه وشهاه وهام به في كل واد فإن النفس إذا شبعت تحركت وجالت وطافت على أبواب الشهوات وإذا جاعت سكنت وخشعت وذلت. اهـ

ولكن ينبغي للإنسان ألا يقلل من الطعام بحيث يضر ذلك في بدنه، وربما أدى ذلك إلى تقصيره في أداء ما أوجب الله عليه.

قال ابن مفلح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/ ١٩٤):

وَرَوَى الْخَلَّالُ فِي جَامِعِهِ عَنْ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ وَقِيلَ لَهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُونَ مِنْ طَعَامِهِمْ قَالَ مَا يُعْجِبُنِي سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ يَقُولُ فَعَلَ قَوْمٌ هَكَذَا فَقَطَعَهُمْ عَنْ الْفَرْضِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَتَى بَالَغَ فِي تَقْلِيلِ الْغِذَاءِ أَوْ الشَّرَابِ فَأَضَرَّ بِبَدَنَةٍ أَوْ شَيْءٍ مِنْهُ أَوْ قَصَرَ عَنْ فِعْلِ وَاجِبٍ لِحَقِّ اللهِ أَوْ لِحَقِّ آدَمِيٍّ كَالتَّكَسُّبِ لِمَنْ يَلْزَمُهُ مُؤْنَتُهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ وَإِلَّا كُرِهَ ذَلِكَ إذَا خَرَجَ عَنْ الْأَمْرِ الشَّرْعِيِّ.

وقال ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٥٢٨):

قال القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المفهم: لما ذكر قصة أبي الهيثم إذ ذبح للنبي ﷺ ولصاحبيه الشاة فأكلوا حتى شبعوا وفيه دليل على جواز الشبع وما جاء من النهي عنه محمول على الشبع الذي يثقل المعدة ويثبط صاحبه عن القيام للعبادة ويفضي إلى البطر والأشر والنوم والكسل وقد تنتهي كراهته إلى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة.

الردود العلمية تعتبر من العلم

مما ينبغي على طالب العلم ألا يحتقر الردود العلمية، ويقلل من شأنها؛ فإنها تعتبر من العلم، ويحصل بها النفع العظيم للإسلام والمسلمين، والدفاع عن حوزة الدين.

وقد روى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣٧):

عن يحي ابْنُ أَكْثَمَ، قَالَ: قَالَ لَنَا المَأْمُوْنَ: لَوْلاَ مَكَانُ يَزِيْدَ بنِ هَارُوْنَ، لأَظهرتُ أَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوْقٌ.

فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِه: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، وَمَنْ يَزِيْدُ حَتَّى يُتَّقَى؟

فَقَالَ: وَيْحَكَ! إِنِي أَخَافُ إِنْ أَظْهَرتُهُ فَيَرُدُّ عَلَيَّ، يَخْتلِفُ النَّاسُ، وَتَكُوْنُ فِتْنَةٌ، وَأَنَا أَكرهُ الفِتْنَةَ. انتهى

بل وينبغي لمن رد عليه ردا علميًا أن يقبل هذا الرد، ويشكر من رد عليه، ولا يعتبر هذا نقْصًا في حقه، بل هو رفعة له أن يرجع إلى الحق والصواب.

وقد روى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السير (١٧/ ٢٧٠):

عن عَبْدُ الغَنِيِّ المقدسي أنه قال: لمَا رددتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ الحَاكِم (الأَوهَامَ الَّتِي فِي المدخلِ) بَعثَ إِليَّ يَشْكُرُنِي، وَيَدْعُو لِي، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ عَاقِلٌ.

وقال الألباني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/ ٦):

فرحم الله عبدًا دلَّني على خطئي، وأهدى إليَّ عيوبي. فإن من السهل علي -بإذنه تعالى وتوفيقه- أن أتراجع عن خطًا تبيَّن لي وجهه، وكتبي التي تطبع لأول مرة، وما يُجَدَّد طبعُه منها أكبرُ شاهد على ذلك.

قال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله تعالى في اللآلئ البهية شرح الفواكه الجنية:

الردود العلمية مما يفرح بها طالب العلم ويفرح بها العالم؛ لما فيها من نصرة الحق؛ ولما فيها من إبطال الباطل، فإن الرد على أهل البدع والأهواء وإبطال المقالات المحدثة من الجهاد في سبيل الله، فالجهاد يكون بالسيف والسنان، ويكون أيضًا بالحجة والبيان.

إلى أن قال:

وكتب الردود مثل: التلقيح يتحصن بها من الأمراض، وهذه يتحصن بها من الفتن فيعرف بها مسالك أهل البدع والأهواء، وما هي طرق أهل البدع والأهواء في الكيد بالدعوة السلفية وبأهل السنة.

دور المساجد في تعليم العلم

تعتبر المساجد مكانًا لتلقي العلم منذ زمن النبي ﷺ، فقد كان النبي ﷺ يجتمع مع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في المسجد ويعلمهم أمر دينهم.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٩):

وكانت " مواضع الأئمة ومجامع الأمة " هي المساجد؛ فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى: ففيه الصلاة والقراءة والذكر؛ وتعليم العلم والخطب. وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء. وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم. اهـ

وقد استمر الأمر في تعليم العلم في المساجد حتى بعد زمن النبي ﷺ.

فقد روى الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ اللَّهُ في الفقيه والمتفقه (٢/ ٢٧٠) [فضل تدريس الفقه في المساجد]، **عن أبي الأحوص، قال: "أدركنا الناس وما مجالسهم إلا المساجد".** اهـ

فالمساجد شأنها عظيم، ودورها كبير، في تعليم المسلمين؛ ولهذا ينبغي الاهتمام بها وعدم إهمالها. بل تعتبر المساجد أحب البلاد إلى الله.

كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه (٦٧١):

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: «**أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**».

وقد حثنا النبي ﷺ على التعلم فيها ورويت لنا في ذلك العديد من الأحاديث:

ومنها: ما رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٩):

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: « **وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**».

قال ابن دقيق العيد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الأربعين النووية (ص: ١٢٠):

قوله ﷺ: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم" هذا دليل على فضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد. اهـ

وقال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الأربعين النووية (ص: ٣٥٧):

وبيوت الله هي المساجد، فإن المساجد هي بيوت الله عَزَّوَجَلَّ. اهـ

وروى مسلم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (٨٠٣):

عن عقبة بن عامر، قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة، فقال: «**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان، أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم، ولا قطع رحم؟**»، فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل**».

وروى الطبراني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المعجم الكبير (٨/ ٩٤) (٧٤٧٣):

عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «**من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلمه، كان له كأجر حاج تامًا حجته**» **قال الإمام الألباني** -رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيح الترغيب والترهيب (٨٦) حسن صحيح.**

وروى البخاري في صحيحه (٦٦)، ومسلم في صحيحه (٢١٧٦):

عن أبي واقد الليثي، أن رسول الله ﷺ **بينما هو جالس في المسجد** والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما: فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفهم، وأما الثالث: فأدبر ذاهبا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه**».

وقد حث أبو هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- الناس على الذهاب إلى المسجد ليأخذوا نصيبهم من ميراث النبي ﷺ.

كما روى ذلك الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ١١٤)(١٤٢٩):

عن أبي هريرة، أنه مر بسوق المدينة، فوقف عليها، فقال: «**يا أهل السوق، ما أعجزكم**» قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: «**ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم، وأنتم هاهنا لا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه**» قالوا: وأين هو؟ **قال: «في المسجد»** فخرجوا سراعا إلى المسجد، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: «**ما لكم؟**» قالوا: يا أبا هريرة فقد أتينا المسجد، فدخلنا، فلم نر فيه شيئًا يقسم. فقال لهم أبو هريرة: «**أما رأيتم في المسجد أحدًا؟**» قالوا: بلى، رأينا قومًا يصلون، وقوما يقرءون القرآن، وقوما يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: «**ويحكم، فذاك ميراث محمد ﷺ**».

قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٣): حسن موقوف.

العلم ميراث الأنبياء

روى أبو داود في سننه (٣٦٤١)، والترمذي في سننه (٢٦٨٢)، وابن ماجة في سننه (٢٢٣):

عن أبي الدرداء -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دِينَارًا ولا دِرْهَمًا ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)، **وصححه الألباني** -رَحِمَهُ اللَّهُ .

وروى الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ١١٤) (١٤٢٩):

عن أبي هريرة، أنه مر بسوق المدينة، فوقف عليها، فقال: «**يا أهل السوق، ما أعجزكم**» قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: «**ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم، وأنتم هاهنا لا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه**» قالوا: وأين هو؟ قال: « **في المسجد**» فخرجوا سراعا إلى المسجد، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: «**ما لكم؟**» قالوا: يا أبا هريرة فقد أتينا المسجد، فدخلنا، فلم نر فيه شيئًا يقسم. فقال لهم أبو هريرة: «**أما رأيتم في المسجد أحدًا؟**» قالوا: بلى، رأينا قومًا يصلون، وقوما يقرءون القرآن، وقوما يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: «**ويحكم، فذاك ميراث محمد ﷺ**» .**حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٣).**

وروى الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرف أصحاب الحديث (ص: ٤٥):

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ قال: بَيْنَمَا ابْنُ مَسْعُودٍ يَوْمًا، مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ مَرَّ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: عَلَى مَا اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: ابْنُ مَسْعُودٍ: «**عَلَى مِيرَاثِ مُحَمَّدٍ، ﷺ يَقْتَسِمُونَهُ**».

طالب العلم يتحلى بالصدق ويجتنب الكذب

وفي ختام هذا الكتاب أحببت أن أنبه عن خلق من الأخلاق العظيمة، والذي ينبغي على كل طالب علم أن يكون متحليا به، ألا وهو خلق الصدق متخليا عن ضده ألا وهو الكذب.

وقد قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (٢٠/ ٧٤):

الصدق أساس الحسنات وجماعها والكذب أساس السيئات ونظامها.**اهـ**

وقال الماوردي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أدب الدنيا والدين (ص: ٢٦١):

وَالْكَذِبُ جِمَاعُ كُلِّ شَرٍّ، وَأَصْلُ كُلِّ ذَمٍّ لِسُوءِ عَوَاقِبِهِ، وَخُبْثِ نَتَائِجِهِ؛ لِأَنَّهُ يُنْتِجُ النَّمِيمَةَ، وَالنَّمِيمَةُ تُنْتِجُ الْبَغْضَاءَ، وَالْبَغْضَاءُ تُؤَوَّلُ إِلَى الْعَدَاوَةِ، وَلَيْسَ مَعَ الْعَدَاوَةِ أَمْنٌ وَلَا رَاحَةٌ. وَلِذَلِكَ قِيلَ: مَنْ قَلَّ صِدْقُهُ قَلَّ صَدِيقُهُ. **اهـ**

وقد أمرنا ربنا عَزَّوَجَلَّ بأن نكون مع الصادقين، **فقال سبحانه وتعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٥٥):

﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدْقا، وأعمالهم، وأحوالهم لا تكون إلا صِدْقًا خلية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة. **اهـ**

وهكذا أمرنا نبينا ﷺ بالصدق واجتناب الكذب.

كما روى ذلك الإمام مسلم في صحيحه برقم ١٠٥-(٢٦٠٧):

عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا**».

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٦١):

فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها. وهي غايته. فلا ينال درجتها كاذب ألبتة، لا في قوله، ولا في عمله، ولا في حاله. **اهـ**

وقال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الضياء اللامع من الخطب الجوامع (٧/ ٥١٣):

ما أقبح غاية الكذب وما أسفل مرتبة الكاذب الكذب يفضي إلى الفجور وهو الميل والانحراف عن الصراط السوي ثم إلى النار ويا ويل أهل النار والكاذب سافل لأنه مكتوب عند الله كذابًا وبئس هذا الوصف لمن اتصف به إن الإنسان لينفر أن يقال له بين الناس يا كذاب فكيف يقر أن يكتب عند خالقه كذابًا. **اهـ**

وأخبرنا ﷺ أن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة.

فقد روى الإمام الترمذي (٢٥١٨):

عَنْ أَبِي الحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ**».

وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، والوادعي في الصحيح المسند (٣١١).

قال المباركفوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٧/ ١٨٧):

أي إن الصدق يطمئن إليه القلب ويسكن (وإن الكذب ريبة) بكسر الراء وحقيقتها قلق النفس واضطرابها فإن كون الأمر مشكوكا فيه مما يقلق له النفس وكونه صحيحًا صَادِقًا مما تطمئن له. **اهـ**

وقال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح رياض الصالحين (١/ ٣٠٠):

فالصدق طمأنينة، لا يندم صاحبه أبدًا، ولا يقول: ليتني وليتني؛ لأن الصدق منجاة، والصادقون ينجيهم الله بصدقهم، وتجد الصادق دائمًا مطمئنا؛ لأنه لا يتأسف على شيء حصل أو شيء يحصل في المستقبل؛ لأنه قد صدْق، و (من صدْق نجا).

أما الكذب، فبين النبي -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ- أنه ريبة، ولهذا تجد أول من يرتاب في الكاذب نفسه، فيرتاب الكاذب: هل يصدقه الناس أو لا يصدقونه؟ ولهذا تجد الكاذب إذا أخبرك بالخبر قام يحلف بالله أنه صدْق؛ لئلا يرتاب في

خبره، مع أنه محل ريبة. تجد المنافقين مثلًا يحلفون بالله ما قالوا: ولكنهم في ريبة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾.

فالكذب لا شك أنه ريبة وقلق للإنسان، ويرتاب الإنسان: هل علم الناس بكذبه أم لم يعلموا؟ فلا يزال في شك واضطراب. اهـ

وأخبرنا ﷺ أن الكذب علامة من علامات المنافقين.

كما روى ذلك البخاري في صحيحه (٣٣)،ومسلم في صحيحه (١٠٧-٥٩):

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**».

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح رياض الصالحين (١/ ٣٠٥):

والكذب ذميم من أخلاق المنافقين، كما قال الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**آية المنافق ثلاث**» وذكر منها: «**إذا حدث كذب**» وبعض الناس -والعياذ بالله- مبتلى بهذا المرض، فلا يستأنس ولا ينشرح صدره إلا بالكذب، يكذب دائمًا، إن حدثك بحديث إذا هو كاذب، إن جلس في المجلس جعل يفتعل الأفاعيل ليضحك بها الناس، وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم: «**ويل لمن حدث فكذب ليضحك بها القوم. . . ويل له، ثم ويل له، ثم ويل له**» ثلاث مرات. **اهـ**

بل ويعتبر الكذب مذمومًا حتى في الجاهلية، وقد روى لنا البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصة أبي سفيان -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قبل إسلامه مع هرقل ملك الروم.

فقال البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه برقم (٧):

حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أن عبد الله بن عباس، أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشأم في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نَسَبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نَسَبًا، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه، **فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كَذِبًا لكذبت عنه.**

وفي مسلم برقم (٧٤ -(١٧٧٣): (فقال أبو سفيان: وايم الله، لولا مخافة أن يؤثر علي الكذب لكذبت).

قال القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم:

وفيه ما يدل على أن الكذب مذموم في الجاهلية والإسلام، وأنه ليس من خلق الكرام.

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الضياء اللامع من الخطب الجوامع (٧/ ٥١٣):

لقد كان الكفار في كفرهم وأهل الجاهلية في جاهليتهم لا يمتطون الكذب ولا يتخذونه منهجًا لحياتهم أو بلوغ مآربهم هذا أبو سفيان ذهب قبل أن يسلم في ركب من قريش تجار إلى الشام فلما سمع بهم هرقل ملك الروم بعث إليهم

ليسألهم عن النبي ﷺ قال أبو سفيان فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبًا لكذبت عنه أو عليه هكذا أيها المؤمنون الكفار في كفرهم وأهل الجاهلية في جاهليتهم يترفعون عن الكذب ويستحيون من أن يؤثر عليهم وينسب إليهم فكيف بكم أنتم أيها المؤمنون وقد حباكم الله تعالى بهذا الدين الكامل الذي يأمركم بالصدق ويرغبكم فيه ويبين لكم نتائجه وثمراته الطيبة وينهاكم عن الكذب ويحذركم منه ويبين لكم نتائجه وثمراته الخبيثة إن أبا سفيان في حال كفره تنزه أن يوصف بالكذب ولو مرة واحدة مع أنه كان يرى أن له مصلحة في كذبه عما يخبر به عن رسول الله ﷺ. **اهـ**

و تأمل إلى حرص العلماء رحمهم الله في البعد عن صفة الكذب **فمن ذلك:**

ما رواه الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٥/ ١٠٩):

عن ابْن عُيَيْنَةَ قَالَ: قال مُطَرِّفُ بنُ عَبْدِ اللهِ: مَا يَسُرُّنِي أَنِّي كَذَبْتُ كِذْبَةً وَأَنَّ لِيَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا.

وروى أيضًا في سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٧):

عَنْ أَصْبَغَ بنِ خَلِيْلٍ، سَمِعَ الغَازِيَّ يَقُوْلُ: وَاللهِ مَا كَذَبتُ كِذبَةً قَطُّ مُنْذُ اغْتَسَلتُ. **اهـ**

قلت: وقوله منذ اغتسلت أي: منذ احتلمت. وقد ذكر هذا الذهبي عنه أنه كان يقول: ما كذبت منذ احتلمت.

وروى أيضًا في سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٩):

عن يَعْقُوْب السدوسي قال: حَدَّثَنِي الحُلْوَانِيُّ، حَدَّثَنَا الشَّافِعِيُّ، حَدَّثَنَا عَمِّي، قَالَ: دَخلَ سُلَيْمَانُ بنُ يَسَارٍ عَلَى هِشَامِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ، فَقَالَ: يَا سُلَيْمَانُ، مَنِ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُم؟ قَالَ: عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُوْلٍ. قَالَ: كَذَبتَ، هُوَ عَلِيٌّ.

فَدَخَلَ ابْنُ شِهَابٍ، فَسَأَلَهُ هِشَامٌ، فَقَالَ: هُوَ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ. قَالَ: كَذَبتَ، هُوَ عَلِيٌّ.

فَقَالَ: أَنَا أَكْذِبُ لاَ أَبَا لَكَ! فَوَاللهِ لَوْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ أَحَلَّ الكَذِبَ، مَا كَذَبتُ.

وروى ابن عساكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تاريخ دمشق (١٨/ ٤٣):

عن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: أتى رجل الحجاج بن يوسف فقال ربعي بن حراش زعموا لا يكذب وقد قدم ابناه عاصيين فابعث إليه فاسأله فإنه سيكذب فبعث إليه الحجاج فقال ما فعل ابناك يا ربعي فقال هما في البيت والله المستعان فقال له الحجاج هما لك وأعجبه صدقه. اهـ

وقد حذر الإمام مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أخذ العلم عن الكذاب.

فقد روى الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٧/ ١٦٢):

عنْ مَالِكٍ، قَالَ: لاَ يُؤْخَذُ العِلْمُ عَنْ أَرْبَعَةٍ: سَفِيْهٍ يُعلِنُ السَّفَهَ، وَإِنْ كَانَ أَرْوَى النَّاسِ، وَصَاحِبِ بِدْعَةٍ يَدعُو إِلَى هَوَاهُ، وَمَنْ يَكْذِبُ فِي حَدِيْثِ النَّاسِ، وَإِنْ كُنْتُ لاَ أتهمه في الحَدِيْثِ، وَصَالِحٍ عَابِدٍ فَاضِلٍ، إِذَا كَانَ لاَ يَحْفَظُ مَا يُحَدِّثُ بِهِ. اهـ

واعلم أن الصدق يجعل صاحبه موضع ثقة بين الناس، والكذب على العكس من ذلك.

وقد قال العلامة ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الضياء اللامع من الخطب الجوامع (٧/ ٥١٣):

وإن الصادق لمعتبر بين الناس في حياته ومماته، فهو موضع ثقة فيهم في أخباره ومعاملته، وموضع ثناء حسن وترحم عليه بعد وفاته.

إلى أن قال:

وإن الكاذب لمحذور في حياته، لا يوثق به في خبر ولا معاملة، وإنه لموضع الثناء القبيح بعد وفاته. اهـ

ونختم هذا الباب بما ذكره الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٦٦) حيث قال:

وقيل: عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك. فإنه ينفعك. ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك. فإنه يضرك.

والحمدلله رب العالمين.

انتهيت من كتابته يوم السبت الموافق:

٢٣/ شعبان / ١٤٤٦هـ

الفهرس

تقديم فضيلة الشيخ أبي بكر بن عبده بن عبدالله الحمادي ٥
المقدمة ٦
أهمية العلم ٧
فضل العلم ١١
- فمما جاء في القرآن الكريم في بيان فضل العلم: ١١
- ومما جاء في فضل العلم في سنة النبي ﷺ: ١٤
- ومما ذكره أهل العلم في فضل العلم: ١٨
- ومما ذكر في فضل العلم: ٢٠

العلم الممدوح في الكتاب والسنة ٢٢
الإخلاص في طلب العلم ٢٥
العمل بالعلم ٢٩
- وإليك يا طالب العلم بعض نصائح العلماء في العمل بالعلم: ٣١

العمل بغير علم ٣٦
أخذ العلم من أهله ٣٨
الحذر من القراءة في كتب أهل البدع ٤٠
تقييد العلم ٤٤
طالب العلم والحفظ ٤٧
- **ما هي الطريقة الصحيحة في طلب العلم؟** هل يكون بحفظ المتون في علوم الشريعة أم فهمها؟ نرجوا التوضيح حفظكم الله تعالى. ٤٩

اهتمام طالب العلم بالقرآن الكريم ٥٥
طالب العلم والفهم ٦١

تعاهد العلم والمحفوظ..... ٦٦
الاجتهاد في طلب العلم والحرص عليه والصبر في طلبه..... ٦٩
عدم الاستعجال في أخذ العلم..... ٧٧
تعليم العلم ونشره وعدم كتمانه..... ٨٠
نشر العلم عند غير أهله..... ٨٨
الملازمة للعلماء ولطلاب العلم ولمن تتعلم منه..... ٩٢
▪ وإليك بعض الأقوال التي رواها الإمام الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء فيما يتعلق بهذا الباب:..... ٩٣
حرص طالب العلم على الوقت..... ٩٤
احترام طالب العلم لمن يعلمه وصبره عليه..... ٩٨
طالب العلم يستفيد من أخلاق معلمه ومن أدبه..... ١٠٣
حاجة طالب العلم إلى الأدب..... ١٠٥
طلب العلم في الكبر..... ١٠٧
طلب العلم ليس له حد ينتهي إليه..... ١٠٩
▪ أقوالًا لأهل العلم في هذا الباب وهي:..... ١٠٩
طلب العلم من الجهاد في سبيل الله..... ١١٣
الرحلة في طلب العلم..... ١١٥
النساء وطلب العلم..... ١٢٢
حرص الوالدين على تعليم الأولاد..... ١٢٩
العلم ليس بكثرة الرواية..... ١٣٢
عدم حرص طالب العلم على الشهرة..... ١٣٣
قول طالب العلم لما لا يعلم لا أدري..... ١٤١
عفة طالب العلم..... ١٤٦
▪ تنبيه:..... ١٤٨
الحياء في العلم..... ١٤٩
السؤال من وسائل العلم..... ١٥٢

المعصية من أسباب حرمان العلم.....١٥٦
حرص طالب العلم على جمع الكتب وعدم التفريط فيها ١٥٨
العلم مواهب من الله.....١٦١
أثر العلم على صاحبه.....١٦٢
العلم سبب من أسباب الرزق.....١٦٤
معاشرة طلاب العلم.....١٦٥
إقلال طالب العلم من الأكل والشرب والنوم.....١٦٦
الردود العلمية تعتبر من العلم.....١٦٩
دور المساجد في تعليم العلم.....١٧١
العلم ميراث الأنبياء.....١٧٥
طالب العلم يتحلى بالصدق ويجتنب الكذب.....١٧٧
الفهرس.....١٨٥